أعلام المسلمين

٥٢

الإمام سُفيان الثوري

أميرُ المؤمنين في الحديثِ

عبد الغني الدقر

دار القلم
دمشق

أعلام المسلمين

٥٢



تأليف

عبد الغني الدقر

الطّبعَة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

الإمام سفيان الثوري

هٰـذَا الرَّجُـل

- «قد كان سفيان رأساً في الزهد، والتألّه، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين».
- «هو شيخ الإسلام، إمام الحفّاظ، سيّر العلماء العاملين في زمانه أبو عبدالله الثوري الكوفي المجتهد».

[الذهبي]

- «كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلَماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته، بحيث يُستغنىٰ عن تزكيته مع الإتقان والحفظ، والمعرفة والضبط، والورع والزهد».

[الخطيب البغدادي]

- «هو أحد المذاهب الستة المتبوعة: أبو حنيفة، والأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري، والشافعي، وأحمد بن حنبل؛ رحمهم الله».

[النووي]

- «كنت إذا شئتَ رأيت سفيان مصلياً، وإذا شئت رأيته محدثاً، وإن شئت رأيته في غامض الفقه».

- «ما رأيت مثل سفيان كأنه خلق لهذا الشأن».

[ابن المبارك]

- «أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدَّمه أحد في قلبي».

[الإمام أحمد بن حنبل]

- «أُصيب المسلمون بعمر بن الخطاب، وأُصبنا بأبي عبدالله في زماننا».

[إسماعيل الزاهد]

- «إني لأحسبه يُجاء غداً بسفيان حجّة من الله على خلقه يقول لهم: لم تدركوا نبيّكم؛ قد رأيتم سفيان».

[شعيب بن حرب]

- «سمعت عبدالرحمن بن مهدي ذكر سفيان وشعبة ومالكاً وابن المبارك فقال: أعلمهم بالعلم سفيان».

[ابن راهويه]

- «كان رحمه الله من الحفاظ المتقنين، والفقهاء في الدين، ممن لزم الحديث والفقه، وواظب على الورع والعبادة، ولم يبالِ بما فاته من حطام هذه الفانية الزائلة، حتى صار علَماً يُرجع إليه في الأمصار، ملجأً يُقتدىٰ به في الأقطار».

[مشاهير علماء الأمصار]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقــدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

اللّهم صلِ وسلِّم وبارك على سيد الأنبياء والمرسلين محمدٍ وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد، ففي النصف الأول من القرن الثاني شغل الناسَ عالمٌ جليل، ومحدث كبير، ومجتهد شهير، وهو الإمام سفيان الثوري. شغل الناس والخلفاء والعامة وخصوصاً في بلده الكوفة وفي مكة وفي البصرة مع وجود أئمةٍ أجلَّاءَ في عصره كالإمام مالك والإمام أبي حنيفة والإمام الأَوْزاعي، وكان أيضاً أصحابُ هؤلاء الأئمة وهم أيضاً مجتهدون. ومع ذلك كان الحفَّاظ يبحثون عنه ليسمعوا منه فإنه ما جمع أحدٌ في عصره كلِّه مثلَ ما جمع من الحديث. أخذ المحدثون

عنه نحو ثلاثين ألف حديث، وما سبق لأحد في عصره أنْ حدَّث بمثل هذا المقدار، ومع ذلك قال: لم أحدِّثِ الناس إلا بعُشْر ما أحفظ.

وكان مجتهداً في الفقه له مذهبه المستقل وله أصحاب في الفقه وكان الفُضَيل بن عياض يقول: أنا من أتباع مذهبه، ومع ذلك لم يخرج اجتهاده عن مذهب أهل الكوفة. ويعترف أنه لم يتلقَّ عن أحد من مجتهدي الكوفة شيئاً، ولكن فيما يظهر المصدر واحد، وهو الرواية عن الصحابي المشهور عبد الله بن مسعود. فقد أرسله عمر رضي الله عنهما إلى الكوفة يعلِّم الناس وبقي أثره فيها إلى فترة بعيدة من الزمن، وكل من اجتهد في الكوفة اغترف من فضله وعلمه.

وكان سفيان رحمه الله أمّاراً بالمعروف نهّاءً عن المنكر، لا يبالي في سبيل ذلك لومة لائم، بل لا يبالي إهانةً ولا سجناً من حاكم، ولا يستطيع أن يسكت عن الظلم، وكان هذا سبباً بملاحقة المنصور له، حتى إنه نَصَبَ الخَشَب له في مكة ليصلبه عليه، ولكن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، فدعا عليه من قلب محروق من ظلمه. فما لبث أن هلك المنصور قبل أن ينفِّذ فيه الصلب، وكان بين موته وتنفيذ الصلب وقت قصير جداً.

ثم جاء ابنه الخليفة المهدي وكانت العلاقة بينهما ليست خيراً من علاقته مع المنصور، أراده أولاً أن يكون جليسه ويعطيه من الأموال ما شاء فأبى، لأنه كان يخشى أن يُذلَّه بماله ثم يُسكته عن كل مخالفة له، فكان أن لاحقه فاختبأ منه فنادى مناديه: من ظفر بسفيان فله عَشَرة آلاف، ومات سفيان قبل أن يظفر به المهدي.

وكان شعاره بالخلفاء والأمراء: «إذا دَعَوْك لتقرأ عليهم ﴿قُل هو الله أحد﴾ فلا تجبهم» لأنه مخلب. وكان يرحمه الله عفيفاً عن أموال الناس والأمراء، وكان إلى عِفّته زاهداً، وما أجمل أنْ يجتمع الزهدُ والعفةُ والورَعُ والعِلمُ في رجل! وله في الزهد والورع حِكَمٌ روائع، تجدها في ثنايا هذا الكتاب.

وليس يرى في الزهد تركَ الاكتسابِ وجمعِ المال فإن الزهد عنده لا ينافي الغِنىٰ، ولكن ينافي الطمعَ وينافي أن يشغل الإنسان قلبه وعقله بالمال وحدَه، ثم لا يبالي بفضيلة ولا دينٍ ولا معروف، ولا صفاء ولا إخلاص، فليس في دماغه ذَرّةٌ فارغةٌ لغير المال وجمعه من حِلِّه ومن حرامه، وكان يقول: اسعَ وأتِ بالمال من حِلِّه، ولا عليك أن تصلِّيَ في الصف الأخير.

وكانت عقيدتُه عقيدةَ أهل السُنة وسلفِ الأمة، لا يُخرج المشتبه من الكتاب والسنّة إلى المجاز والتأويل، ولكن يقول: أَمِرُّوها كما أُنزلت من غير تشبيه، وذلك لقوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ولِعظيم شأنه قارن العلماء بينه وبين كبار المجتهدين من العلماء، قارنوا بينه وبين أبي حنيفة، وبينه وبين مالك، وبينه وبين شُعبة كبير المحدثين في عصره، وبينه وبين سَمِيِّه سفيان بن عيينة، والكثير ممن قارن رجَح به عن نظرائه.

وكان له حافظة نادرة، كان إذ شاء أملىٰ باباً كبيراً في الفقه والحديث لبعض خاصّته ممن لم يسمع منه هذا الباب. وما زالت تنتشر في بلاد الإسلام شهرته، حتى لقبُوه: بأمير المؤمنين في الحديث. وكان من الممكن أن نكتب بكل طرفٍ من حياته كتاباً، ولكن لا تسع كتب (أعلام المسلمين) أكثر مما كتبناه، وعسى أن يكون ما كتبناه هنا عن سفيان بن سعيد الثوري كافياً لمن يريد أن يعرف عن سفيان كل شيء بإيجاز ونسأل الله تعالى في الختام أن ينفعنا بما كتبنا وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

عَصْرُ الثوري

وُلد سفيان الثوري بعد أن تولَّى الخلافةَ سليمانُ بنُ عبدالملك بسنةٍ واحدة، وأدرك بعده سبعة من خلفاء بني أُميّة وثلاثة من خلفاء بني العباس وشهد كيف دبَّ الضعف في بني أُميّة وعاش في فترة بنـي أُمية نحو أربع وثلاثين سنة كما شهد كيف وثبَ خلفاء بني العباس على بني أُميّة، وعلى من يخرج عليهم من قرابة رسول الله ﷺ بعد أن أعدُّوا لكل ذلك عُدَّته من دِعايات وادِّعاءات فيها بعضُ الصدق والكثيرُ من الكذب، وكم فتكوا برجال من آل البيت خرجوا عليهم ظناً منهم أن لهم الحقَّ في الحكم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، واستمرت قوة العباسيِّين إلى نحو مئة سنة قوية لا يستطيع أحد أن ينازعها، ولما أدخلوا في قيادة الجيش العنصرَ التركي كان سببَ ضعفهم وقتلهم ثم توزُّعِهم إمارات كثيرة حتى آلَ بها الحال إلى أن لم يبق لها إلا الاسم، والحكم لغيرها.

وكان عهد الأوائل من العباسيِّين من أبي جعفر المنصور وابنه المهدي وابنه الهادي أن استأصلوا قتلاً المرتدِّين من المزدكيِّين والمتنبِّئين وبعض المانويين. هذه خلاصة الأحوال السياسية في عصره.

أما الحياة العلمية فانصرفَ الكثير إلى جمع الحديث النبوي وحفظه، وبدأ الاجتهاد في هذا العصر، وفي أيدي الناس مادَّةٌ جيدة للاجتهاد. فحفظ من برز للاجتهاد منهم فتاوى علماء الصحابة، وفتاوى كبار التابعين من الفقهاء السبعة، وتجدّدت قضايا، وكان لهم بهذه الفتاوى وهذه الأحاديث التي حفظوها وجمعوها أعظمُ مرجعٍ يبنون عليه اجتهادهم، وكان أبو حنيفة حفظ كما حفظوا، واعتمد على مَلَكته وتفكيره المُرْهَفْ، وهو القائل عن التابعين: هم رجال ونحن رجال. وكان مالك والأَوْزاعي وسفيان الثوري وكلهم أئمة مجتهدون في عصر واحد تقريباً إلا أبا حنيفة فقد سبقهم في القِدَم في نحو ثلاث عشرة سنة بالنسبة لمالك، وثمانية سنين بالنسبة للأَوْزاعي، وسبع عشرة سنة بالنسبة لسفيان الثوري، رحمهم الله جميعاً. وكان لكل منهم أصحاب جمعوا علمهم وحفظوا كتبهم واجتهدوا كما اجتهد شيوخهم ولم يرفعوا نسبتهم إليهم واختصوا بهم، وكان الطابعَ العام في الكثرة العظمى من الناس هو الإسلام

فبه يعملون، وبه يتقاضَوْن، وما يتنازع متنازعان إلا ويرضَيان حكم الله فيه، وكان أكثر ما يشدُّ الناس علماءُ الأمة ومحدِّثوها وفقهاؤها وقُرّاؤها، ولذلك كان أحبَّ ما يكون للخلفاء أن يكون من يجالسهم علماءُ الأمة، لأنهم بذلك يستطيعون أن يُمسكوا بزمام الناس، إلا إذا فُتِن العلماء بعطاء الخلفاء فسكتوا عن ظلمهم، وعن أخذهم أموال الناس بالباطل.

وفي هذا العصر كان من الفِرَق غير أهل السنّة ـ وهؤلاء هم الكثرة الكاثرة ـ : المعتزلة والجهمية والمرجئة والرافضة، وفرق من بقايا عقائد الفرس: الزرادشتية والمزدكية والديصائية والمانوية، وهؤلاء هم أقرب إلى الكفر منهم للإيمان، وكل هؤلاء لهم مؤلفات فيما ذهبوا إليه.

وهناك فئة من صلحاء الأمة ممن زهدوا في الدنيا ـ لا على طريقة المتصوفين ـ ولكنهم على الكتاب والسنّة ويسعون لأرزاقهم، ولا يتهالكون على جمع المال من وجوهه كلِّها، ويجتهدون في جلب الحلال ويقنعون بالقليل وهم أبعد الناس عن سؤال غيرهم، ومن هؤلاء العالم الجليل سفيان الثوريّ الذي نكتب هذا الكتاب بشأنه، وجماعة من أصحابه: منهم الفُضَيل بن عياض فهو من كبار

الزهاد، ومنهم أبو سليمان الداراني الذي يقول: يعترضني الخاطر من الزهد فلا أقبله إلا بشاهدَيْ عدل من الكتاب والسنّة.

هذا مختصر ما خطر لي عن عصر سفيان الثوري، وبه أكتفي. راجياً من الله تعالى المثوبة على ما كتبتُ عن أعلام من أئمة المسلمين، والحمد لله ربّ العالمين.

مَنْ هُوَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ؟

اسمه ونسبه:

هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب بن رافع بن عبدالله بن موهبة بن أُبَيّ بن عبدالله بن منقد بن نصر ابن الحارث بن ثعلبة بن عامر بن مِلكان بن ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[1].

وهو من ثور طابخة، وليس بشيءٍ قول من زعم أنه من ثور همدان. فهو عربيّ صليبة.

مولده:

وُلد سفيان سنة سبع وتسعين كما يقول يحيى بن معين في خلافة سليمان بن عبد الملك، وقيل: وُلد سنة ثمان وتسعين، وقيل: ولد سنة خمس وتسعين، ولكن الأثبت والمتفق عليه من الأكثرين أنه وُلد سنة سبع وتسعين[2].

ويُعتبر هو من تابع التابعين.

(١) من جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص ٢٠١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٠.

والظاهر أنه وُلد بالكوفة، إلا أنّ ابن معين يقول: بلغني أن شريكاً والثوري وإسرائيل، وفضيل بن عياض وغيرهم من فقهاء الكوفة وُلدوا بخراسان، كان يُبعث بآبائهم في البعوث، ويتسرّى بعضهم، ويتزوج بعضُهم، فلما قفلوا نقلوهم إلى الكوفة(١).

والـــده:

هو سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، رَوى عن إبراهيم التيمي، وخيثمة بن عبد الرحمٰن، وسعيد بن عمرو بن أشوع، وسلمة بن كهيل، وأبي وائل، والشعبي، وعبايه بن رفاعة، وعكرمة وعبد الرحمٰن بن أبي نعم، وأبي الضحَى، ومنذر الثوري، ويزيد بن حيّان، وعكرمة، وعون بن أبي جحيفة. . . وعدة. وروى عنه الأعمش ـ وهو من أقرانه ـ وروى عنه أولاده: سفيان، وعمر، والمبارك، وشعبة بن الحجاج. . . وجماعة(٢).

توثيقــه:

قال ابن معين، وأبو حاتم، والعجلي، والنسائي، ثقة. وذكره ابن حبّان: في الثقات ونقل ابن خلقون توثيقه عن ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٢.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٠١، وتهذيب التهذيب ٤/ ٨٢.

المديني[1]، ويقول الذهبي: وهو من ثقات الكوفيين وعداده في صغار التابعين.

وفاة والده:

قال ابن أبي عاصم: مات سنة ست وعشرين ومئة. وقال أحمد: بلغني أنه مات سنة ١٢٨[1].

من أخويْ سفيان الثوري: مبارك:

منهم مبارك بن سعيد أبو عبد الرحمٰن الكوفي الضرير، نزيل بغداد.

روى عن أبيه، وأخويه: سفيان وعمر، والأعمش، وموسى الجهني، وعمرو بن قيس وعاصم بن بهدله وغيرهم.

روى عنه يحيى بن معين، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم، وإبراهيم بن موسى الرازي وآخرون.

توثيقه:

قال ابن معين والعجلي: ثقة. وقال أبو حاتم: ما به بأس. وقال صالح بن محمد الأسدي: صدوق. وعن محمد بن عبيد: ما رأيت الأعمش أوسع لأحد قط في مجلسه إلا لمبارك. مات سنة ثمانين ومئة في أولها[2].

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٠١، وتهذيب التهذيب ٤/ ٨٢.
(٢) تهذيب التهذيب ١٠/ ٢٨.

من إخوة سفيان: عمر:

عمر بن سعيد بن مسروق الثوري أخو سفيان. روى عن أبيه، والأعمش، وعمّار الدهني، وأشعث ابن أبي الشعثاء وغيرهم. وعنه أخوه مبارك، وابنه حفص بن عمر، وابن عيينة وغيرهم.

توثيقه:

قال النسائي: ثقة، ووثقه الدارقطني. وقال أبو حاتم: لا بأس به.

قال عبد العزيز بن أبي عثمان: أُصيب سفيان بأخ له يسمى عمر، وكان مقدماً فلما سوَّوا عليه التراب قال: رحمك الله يا أخي إن كنت لسليم الصدر للسلف وإن كنت لتحب أن تخفي علمك ـ أي لا تحب الرئاسة[1].

جد سفيان: مسروق:

جاء في سير أعلام النبلاء للذهبي[2]: مسروق جد الثوري شهد الجمل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه. وعلى هذا يكون جده من التابعين.

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٦٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢١٢.

أخت سفيان:

عن ابن شهاب الحناط[1] قال: بعثت أخت سفيان بجراب فيه كعك وخشكنان[2] فقدمتُ فسألت عنه فقيل لي: ربما قعد عند الكعبة مما يلي الحناطين، فأتيته فوجدته مستلقياً فسلمت عليه، فلم يسائلني تلك المساءلة، ولم يسلم علي كما كنت أعرفه، فقلت: إن أختك بعثت معي بجراب، فاستوى جالساً فقال: عجل بها فكلمته في ذلك. فقال: يا أبا شهاب، لا تلمني، فلي ثلاثة أيام لم أذق فيها ذواقاً فعذرته...

ولما مات سفيان كان له مئة دينار بضاعة فجعل كل شيء لأخته وولدها، ولم يورث أخاه المبارك شيئاً[3].

واسم ابن اخته عمّار بن محمد توفي في خلافة الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومئة وكان ثقة. وقد روى عنه.

زوجته وابنه:

سُئل محمد بن عبيد: أكان لسفيان امرأة؟ قال: رأيت ابناً

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٥.

(٢) الخشكنان: دقيق الحنطة يعجن بشيرج وبسط ومليء بالسكر واللوز والفستق وماء الورد وخبز.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.

له بعثت به أمه إليه، فجاء فجلس بين يديه فقال سفيان: ليت أني دعيت لجنازتك، قيل لمحمد: فما لبث أن دفنه؟ قال: نعم.

خوفه من الحاجة لغيره وعمله في دنياه

كان سفيان رحمه الله أخشى ما يخشاه على نفسه أن يحتاج إلى غيره من أمير أو صديق أو قريب. أو أي أحد من خلق الله، وكان يقول في ذلك: (لأن أترك عشرة آلاف دينار يحاسبني الله عليها أحبُّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس)[1].

وكان يقول: (من كان في يده شيء من هذه الدراهم فليصلحه، فإنه في زمان إن احتاج كان أول من يبذل دينه)[2].

ويقول سفيان: (قدمت البصرة فجلست إلى يوسف بن عبيد، فإذا فتيان كأن على رؤوسهم الطير، فقلت: يا معشر القرّاء، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق، واعملوا ولا تكونوا عالة على الناس، فرفع يونس رأسه إليهم فقال: قوموا فلا أعلمنَّ أحداً منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه فتفرقوا) قال سفيان: فوالله ما رأيتهم عنده بعده[3].

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٠/ ١٣٢.
(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٩.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.

وعن شعيب بن حرب قال: قال لي الثوري: (يا أبا صالح، احفظ عني ثلاثاً: إن احتجت إلى شسْع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل. واعلم بأن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء)[1].

ويقول سفيان: (لأن تدخل يدك في فم تنين خير من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر)[2].

ويقول سفيان: (إن الرجل ليسقيني الشربة من الماء فيدق به ضلعاً من أضلاعي)[3].

وقال شعيب بن حرب: قلت لسفيان الثوري: ما تقول في رجل قصار إذا كسب درهماً كان فيه ما يقوته ويقوت عياله، ولم يدرك الصلاة في جماعة؟ وإذا كسب أربع دوانيق أدرك الصلاة في جماعة ولم يكن فيه ما يقوته ويقوت عياله، أيهما أفضل؟ قال: يكسب الدرهم ويصلي وحده[4].

وقال له رجل: إني أُريد الحج، فقال سفيان:

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٢.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ١٦ ـ ١٧.

(لا تصحب من يتكرم عليك، فإن ساويته في النفقة أَضَرَّ بِكَ، وإن تفضّل عليك استذلك)[١].

وكان من شدة خوفه من الحاجة لأحد من خلق الله يتجر بمال مقداره مئتا دينار وكان يأتي اليمن فيتجر، وكان يفرق ما عنده على قوم من إخوانه يبضعون له به فيوافي الموسم كل عام فيلقاهم ويحاسبهم ويأخذ ما ربحوا[٢]. وكان إذا أبطأت عليه بضاعته نقض جذوع بيته فباعها، فإذا رجعت بضاعته ـ أي ربحه منها ـ أعادها[٣].

أجر نفسه سفيان:

يقول أحمد بن عبد الله العجلي: أَجَّر سفيان نفسه من جمال بمكة، فأمروه أن يعمل لهم خبزة، فلم تجيء جيدة، فضربه الجمال، فلما قدموا إلى مكة دخل الجمال فإذا سفيان قد اجتمع حوله الناس، فسأل. فقالوا: هذا سفيان الثوري، فلما انفض المجلس تقدم الجمال إليه وقال: لم نعرفك يا أبا عبد الله، قال سفيان: من يفسد طعام الناس يصيبه أكثر من ذلك[٤].

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٨.
(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧٢.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٩٩.
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

من عاداته وشؤونه الخاصة به

كان يمزح ويضحك:

لا بدّ للطبيعة البشرية أن تأخذ حظَّها من كل شيء مخلوق فيها ومجبولة عليه، من ذلك الضحك، وهذا من كمال خلق الله للإنسان ولطفه به. قال: فإنّ بالضحك انفراجَ الأسَارير ونسيان الهموم والغموم والمكدرات ولو إلى حين، فضحك سفيان بالنسبة لبكائه وخوفه من سوء المصير هو أقل من الملح للطعام، ولا بدّ للإنسان منه، فبه تلين أخلاق الإنسان وتهذب طبائعه.

وكان سفيان ـ كما قال قُبيصة ـ مزاحاً. وعن عيسى بن محمد قال: إن سفيان كان يضحك حتى يستلقي ويمد رجليه.

وقال زيد بن أبي الزرقاء: وكان المعافى يعظ الثوري ويقول: يا أبا عبد الله، ما هذا المزاح؟ ليس هذا من فعل العلماء. وسفيان يقبل منه.

والذي يؤخذ على المازح والضاحك أن يكون هذا شأنَه وديدَنَه كل حياته فلا يحتمل من جد الحياة الدنيا والآخرة شيئاً.
أما سفيان فلم يكن كذلك بل همُّ الآخرة شغله عن كل شيء.

طي ثيابه:

يقول مهران: رأيت سفيان الثوري إذا خلع ثيابه طواها،

وقال: كان يقال: إذا طُويت رجعت إليها نفسها[1].

وعن بكر العابد قال عن سفيان عكس ذلك: لا يُطوى لي ثوبٌ أبداً، ولا يبنى لي بيت أبداً، ولا أتخذ مملوكاً أبداً[2].

كان يخضب:

كان سفيان رحمه الله يخضب قليلاً إذا دخل الحمام[3].

يقبل الهدية:

كان سفيان رحمه الله يقبل الهدية ويثيب عليها[4].

بدء سفيان بطلب العلم

في عصر التابعين وتابعيهم ومن بعدهم كان أولَ هم طالب العلم سماعُ حديث رسول الله ﷺ من المحدثين الحفّاظ، لأن بالحديث النبوي تفصيلَ كتاب الله وتبيينَه وتفسيرَ مجمله، بل لن يكون فقيهاً مجتهداً مستنبطاً للأحكام إلا إذا سمع الكثير من الحديث النبوي، وعرف بدقة ما ثبت وما لم يثبت من الحديث، وأن لا يرويه إلا عن الثقة المعروف. وهكذا كانت بداءة سفيان الثوري في طلب العلم.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦٣.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٩٢.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٤٧٥.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٦.

أم سفيان وأبوه يحثانه على العلم:

عن وكيع قال: قالت أم سفيان لسفيان: اذهب فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي فإذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل تجد في نفسك زيادة فاتبعه وإلا فلا تتعَنَّ[1]، وكذلك والده اهتم بتعليمه والاعتناء به وهو حدث. ففي السير[2]: وطلب العلم وهو حدث باعتناء والده.

ومضى سفيان يسمع الحديث ويطلب العلم وهو حدث حتى شُهِر ونُوِّه بذكره. حدث أبو المثنى قال: سمعتهم بمرو يقولون: قد جاء الثوري. قد جاء الثوري. فخرجت أنظر إليه، فإذا هو غلام قد بَقَل وجهُه[3] ـ وهو أول ظهور لحيته ـ وإنما اهتموا بمجيء سفيان وهو بميعة الفتوة لأنه جاء ليحدث الناس، ولقوة حافظته وحدّة ذكائه.

ذكاؤه وحفظه:

قال الذهبي: وكان ينوَّه بذكره في صغره من أجل فرط ذكائه وحفظه، وحدَّث وهو شاب[3].

وقال عبد الرزاق وغيره عن سفيان قال: (ما استودعت

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٦.

قلبي شيئاً قط فخانني)[1].

وقال ابن مهدي: ما رأت عيناي أحفظ للحديث من الثوري.

وقال أبو معاوية الضرير: ما رأيت رجلاً قط كان أحفظ لحديث الأعمش من الثوري[2].

ويقول سفيان: ما استُودعتْ أُذني شيئاً قط إلا حفظته[3].

حدث الأشجعي قال: دخلت مع سفيان الثوري على هشام بن عروة، فجعل سفيان يسأل وهشام يحدث، فلما فرغ قال: أعيدها عليك؟ قال: نعم، فأعادها عليه، ثم خرج سفيان، وأذن لأصحاب الحديث، وتخلفت معهم، فجعلوا إذا سألوا أرادوا الإملاء، فيقول: احفظوا كما حفظ صاحبكم، فيقولون: لا نقدر نحفظ كما حفظ صاحبنا[4].

ويقول مهران الرازي: كتبت عن سفيان الثوري أصنافه. فضاع مني كتاب الديات، فذكرت ذلك له، فقال: إذا وجدتني خالياً فاذكر لي حتى أملَّه عليك فحجّ، فلما دخل مكة طاف بالبيت وسعى، ثم اضطجع. فذكرته، فجعل

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٦.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٧.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٨.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٣.

يملي عليّ الكتاب باباً في إثر باب حتى أملاه جميعه من حفظه[1].

ويقول عبد الرحمٰن بن مهدي: قدمت على سفيان بن عيينة فجعل يسألني عن المحدثين فقال عبد الرحمٰن: ما بالعراق أحد يحفظ الحديث إلا سفيان الثوري، قال: فلما قدمت حدثت به شعبة فشق عليه[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٠.

شِيُوخُهُ

يُقال: إن عدد شيوخه ست مئة شيخ.

من شيوخه: والده، وإبراهيم بن عبد الأعلى[1]، وإبراهيم بن عقبة[2]، وإبراهيم بن محمد بن المنتشر[3]، وإبراهيم بن مهاجر[4]، وإبراهيم بن ميسرة[5]، وإبراهيم بن يزيد الخوزي[6]، وأجلح بن عبد الله[7]، وأُسامة بن زيد[8]، وإسرائيل بن أبي موسى[9]، وأسلم المنقري[10]، وإسماعيل

(١) ثقة كوفي.
(٢) مدني ثقة.
(٣) كوفي ثقة.
(٤) صدوق ليّن الحفظ.
(٥) الطائفي ثبت حافظ.
(٦) متروك الحديث.
(٧) صدوق.
(٨) ضعيف من قبل حفظه.
(٩) ثقة.
(١٠) ثقة.

ابن إبراهيم المخزومي[١]، وإسماعيل السدي[٢]، وإسماعيل ابـن كثيـر[٣]، والأسـود بـن قيـس[٣]، والأشعـث بـن أبـي الشعثاء[٣]، وإياد بن لقيط[٤]، وأيوب السَّختياني[٥]؛ وبَرْد بن سنان[٦]، وبشير أبو إسماعيل[٧]، وبكير بن عطاء[٨]، وبَهْز بن حكيم[٩]، وتوبة العنبري[١٠]، وثابت بن هرمز أبو المقـدام[١١]، وجـابـر الجعفـي[١٢]، وجـامـع بـن شـداد[١٣]، وجعفـر بـن بـرقـان[١٤]، وجعفـر الصـادق[١٥]، وحبيـب بـن ثـابـت[١٦] ـ وهـو مـن كبـار شيـوخـه ـ، وحبيـب بـن

(١) مقبول.
(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمٰن صدوق يهم.
(٣) ثقة.
(٤) إياد ثقة.
(٥) أيوب ثقة ثبت حجة.
(٦) بَرْد: صدوق رُمِيَ بالقدر.
(٧) بشير بن سليمان أبو إسماعيل ثقة.
(٨) بكير بن عطاء الليثي ثقة.
(٩) بهز بن حكيم القشيري: صدوق.
(١٠) توبة أبو المورّع العنبري: ثقة، وأخطأ الأزدي إذْ ضعّفه.
(١١) ثابت بن هرمز: صادق.
(١٢) جابر الجعفي ضعيف رافضي.
(١٣) جامع بن شداد ثقة.
(١٤) جعفر بن برقان: صدوق يهم.
(١٥) جعفر الصادق صدوق فقيه إمام.
(١٦) حبيب بن ثابت ثقة فقيه جليل.

الشهيد[1]، وحجاج بن فرافصه[2]، والحسن بن عمرو الفقيمي[3]، وحكيم بن حبير[4]. وغير هؤلاء كثير اقتصرنا منهم على ما ذكرنا.

وممن قصد من الشيوخ أبا إسحاق الهمداني، ويقول سفيان: كنا نأتي أبا إسحاق الهَمْداني، وفي عُنُق إسرائيل - حفيده طوق ذهب[5].

من سمع منه حديثاً واحداً:

عن يحيى بن سعيد قال: لم يسمع من خالد بن سلمة الفأفاء[6] إلا حديثاً واحداً ولا من ابن عون[7] إلا حديثاً واحداً[8].

---

(١) حبيب بن الشهيد ثقة ثبت.

(٢) حجاج بن فرافصة: صدوق عابد يهم.

(٣) الحسن الفقيمي: ثقة ثبت.

(٤) حكيم بن جبير الأسدي ضعيف رُمي بالتشيّع.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦.

(٦) وهو خالد بن سلمة بن العاص المخزومي الكوفي المعروف بالفأفاء. صدوق، رُمي بالإرجاء والنصب، صدوق يهم قليلاً، قتل سنة اثنتين وثلاثين ومئة عند قيام الدولة العباسية.

(٧) هو عبد الله بن عون البصري ثقة ثبت فاضل من أقران أيوب في العلم والعمل والسن، مات سنة خمسين ومئة.

(٨) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٥.

ويقال إن عدد شيوخه ست مئة شيخ، وكبارهم الذين حدّثوه عن أبي هريرة، وجرير بن عبد الله وابن عباس وأمثالهم[1].

من عاصرهم ولم يسمع منهم:

لم يسمع من جماعة من الكبار، فلم يسمع من سعيد بن أبي بردة[2].

وقال البغوي: لم يسمع من يزيد الرقاشي[3].

وقال أحمد: لم يسمع من سلمة بن كهيل[4] حديث السائبة[5].

ويقول ابن المديني: سُئِل سفيان: هل رأيت ابن أشوع؟ قال: لا، قيل فمحارب؟ قال: وأنا غلام رأيته يقصّ في المسجد[5].

وقيل للثوري: ما منعك أن ترحل إلى الزهري؟ ـ تابعي أول من كتب حديث رسول الله، ومن لم يسمع منه فاته من

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٤.
(٢) سعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الكوفي ثقة ثبت.
(٣) يزيد بن أبان الرقاشي زاهد ضعيف مات قبل العشرين ومئة.
(٤) سلمة بن كهيل الحضرمي الكوفي ثقة.
(٥) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٥.

العلم الشيء الكثير ـ قال: (لم تكن دراهم، وكفانا معمر عن الزهري، وكفانا ابن جريج عن عطاء)[1].

الإمام سفيان الثوري الحافظ

أصل أصول الشرع وذِروة سنامه كتاب الله، ثم ما ثبت من سنّة رسول الله ﷺ، بل ما ثبت من السنّة تفصيل لمجمل كتاب الله، وتبيين له يقول تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾[2] ومن لم يجعل حديث رسول الله تبييناً لكتاب الله فقد كذب كتاب الله، ويقول سبحانه: ﴿قُل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم. قل أطيعوا الله والرسول، فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين﴾[3] ويقول تعالى: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾[4] وليس معنى اتباع الرسول وطاعته إلا من طريق حديثه وسننه وليس بمجتهد ولا فقيه من لم يجعل حديث رسول الله ﷺ أساس اجتهاده وفقهه.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦، والجرح والتعديل ١/ ٧٦.

(٢) النحل: ٤٤.

(٣) آل عمران: ٣١ و ٣٢.

(٤) المائدة: ٩٢.

ومن جعل للفقه طريقاً غير طريق الحديث فقد ركب الضلال إلى الجهل والهلكة وهو يظن ـ وظنّه إثم ـ أنه طريق الهداية والنجاة.

وإليك بعض كلام الإمام الحافظ سفيان الثوري في الحضّ على تعلم الحديث وإسناده.

الإسناد سلاح المؤمن:

يقول عبد الصمد بن حسّان: سمعت سفيان يقول: الإسناد سلاح المؤمن فمن لم يكن له سلاح فبأي شيء يقاتل[1].

وقال سفيان: أكثروا من الأحاديث فإنها سلاح[2].

عن عبد الرزاق يقول: سألتُ سفيان في الموسم عن شيء، فقال: هيهات أنت من أصحاب السلاح[3] ـ أراد من أصحاب الإسناد في الحديث.

ويقول سفيان: (الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض)[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٤.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٧.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤.

إنما العلم بالآثار:

عن سفيان قال: إنما العلم بالآثار[1].

وعنه قال: تعلموا هذه الآثار، فمن قال برأيه فقل رأيي مثل رأيك[1].

لا شيء أنفع من الحديث:

قال سفيان: ليس شيء أنفع للناس من الحديث[2].

وقال: ما من عمل أفضل من طلب الحديث إذا صحّت النية فيه[3].

وقال يحيى بن يمان: قيل لسفيان: ليست لأصحاب الحديث نية. قال: طلبهم له نية، لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم[4].

ويقول سفيان: ما من عملي شيء أهم عندي من الحديث[5].

وقيل لسفيان: إلى متى تطلب الحديث؟ قال: وأيّ خير أنا

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٧.

(٢) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٥.

(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤.

(٥) تاريخ أبي زرعة ١/ ٤٦٧.

فيه خير من الحديث فأصير إليه؟ إن الحديث خير علوم الدنيا[١].

عبد الرحمٰن بن مهدي قال: سمعت أبي يقول: رأيت سفيان في المنام، فقلت: أي شيء وجدت أفضل؟ قال: الحديث[٢].

تعلموا هذا العلم واعملوا به:

قال سفيان: تعلموا هذا العلم، فإذا تعلمتموه فاحفظوه، فإذا حفظتموه فاعملوا به، فإذا عملتم به فانشروه[٣].

ينبغي أن يكره ولده على الحديث:

يقول سفيان: ينبغي للرجل أن يكره ولده على طلب الحديث فإنه مسؤول عنه[٤].

وَلوع سفيان الشديد في الحديث:

قال يحيـى القطان: كان الثوري قد غلبت عليه شهوة الحديث، ما أخاف عليه إلا من حبه للحديث[٥].

وقال يحيـى القطان أيضاً: ما رأيت رجلاً أفضل من سفيان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٣.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٦.
(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧١.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٥.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

لولا الحديث، كان يصلي ما بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، فإذا سمع مذاكرة الحديث ترك الصلاة وجاء[1].

ويقول سفيان: الحديث أكثر من الذهب والفضة، وليس يدرك، وفتنة الحديث أشد من فتنة الذهب والفضة[2].

ويقول سفيان: ما أنكر نفسي إلا إذا جلست للحديث[3].

وقال قبيصة: كان سفيان إذا نظرت إليه كأنه راهب، فإذا أخذ في الحديث أنكرته[4] عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: ربما كنا عند سفيان فكأنه قد أوقف للحساب، فلا نجترىء نسأله عن شيء، فنعرض له بذكر الحديث، فإذا جاء به الحديث ذهب ذلك الخشوع فإنما هو حدثنا حدثنا[5]...

لقد بلغ تعلق سفيان بالحديث وولوعه به، وشهوته له مبلغ الهوسة فقد يكون في عبادة أو تفكر، أو في حال عالية مع الله تعالى فإذا جاء الحديث انقلب كأنه ليس هو الخاشع المتعبد.

قال محمد بن عبدالله بن نمير يقول سفيان: ما

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٧.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٣.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٦٤.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٦.
(٥) الجرح والتعديل ٨/ ٦٥.

أخاف علـى نفسي غير الحديث، قال محمد بن عبدالله: لأنـه كـان يحدث عن الـضعفـاء. قال الذهبي: قلـت: ولأنـه كـان يدلِّس عنهم، وكان يخاف من الشهوة وعدم النيّة في بعض الأحايين[1].

وقال الذهبي أيضاً: قلت: حب ذات الحديث والعمل به مطلوب من زاد المعاد. وحب روايته وعواليه، والتكثر بمعرفته وفهمه مذموم مخوف، فهو الذي خاف منه سفيان والقطان، وأهل المراقبة.

كبار المحدثين يثنون عليه بحفظه:

يقول عبد الرحمٰن بن مهدي: ما رأيت صاحب حديث أحفظ من سفيان الثوري[2].

ويقول يحيـى بن سعيد القطان: ما رأيت أحداً أحفظ من سفيان الثوري[3].

ويقول عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: أحفظ أصحاب الأعمش ـ الثوري[4].

ويقول عبد الرحمٰن بن مهدي: قدمت على سفيان بن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٨.
(٣) الجرح والتعديل ٨/ ٦٣.
(٤) الجرح والتعديل ٨/ ٦٤.

عيينة، فجعل يسألني عن المحدثين، فقلت: ما بالعراق أحد يحفظ الحديث إلا سفيان الثوري، قال: قلما قدمت حدثت به شعبة فشقّ عليه[1].

وقال علي ابن المديني: الإسناد يدور على ستة: الزهري، وعمرو بن دينار، وقتادة، ويحيى بن أبي كثير، وأبو إسحاق، والأعمش، ثم صار علم هؤلاء الستة من أهل الكوفة إلى سفيان الثوري[2].

وقال ابن المبارك: أقعد إلى سفيان الثوري فيحدث، فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا سمعته، ثم أقعد عنده مجلساً آخر فيحدث فأقول: ما سمعت من علمه شيئاً[3].

وقال أحمد بن حنبل: كان سفيان رجلاً حافظاً ـ يعني الثوري[4] ـ.

وقال عبيدالله بن عبد الرحمٰن الأشجعي الكوفي الحافظ: سمعت من سفيان الثوري ثلاثين ألف حديث[5] ـ أي مع إسنادها ـ.

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٧ .
(٢) الجرح والتعديل ٨/ ٥٩ ـ ٦٠ .
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٧٣.
(٤) تاريخ أبي زرعة ١/ ٦٢٣ .
(٥) العبر ١/ ٢٨٢ .

علمه بالحديث وفضله فيه:

عن عبد الرحمٰن بن مهدي قال: ما رأيت رجلاً أعرف بالحديث من الثوري[١].

وقال يحيـى بن معين: لم يكن أحد أعلم بحديث أبي إسحاق من الثوري، ولم يكن أحد أعلم بحديث منصور من سفيان الثوري[٢].

وقال يحيـى بن سعيد: سفيان أعلم الناس بحديث الأعمش، وربما غلط الأعمش فيرده سفيان[٣].

قال ابن عيينة: أصحاب الحديث ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه[٤].

وقال شعبة: إذا خالفني سفيان في حديث، فالحديث حديثه[٥].

وقال يحيـى بن سعيد: ما سمعت من سفيان عن الأعمش أحبّ إليّ مما سمعت أنا من الأعمش، لأن الأعمش كان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٨.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٦٤.
(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٤٣.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.
(٥) الجرح والتعديل ١/ ٦٣.

يمكِّن سفيان ما لا يمكنني[١].

وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومئة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان[٢].

وقال ابن معين: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قول سفيان[٣].

وقال العجلي: أحسن إسناد الكوفة سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة[٣].

وقال لنا معمر لما بلغه أن سفيان قادم عليهم اليمن قال: إنه قدم عليكم محدث العرب[٤].

وقال ضمرة: كان سفيان ربما حدث بعسقلان يبتدئهم يقول: انفجرت العيون ـ يعجب من نفسه[٥].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: شهدت سفيان عند العمري، فجعل يوقفه على كل حديث توقيفاً شديداً[٦].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٨٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٧.
(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٣ ـ ١١٤.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٥٧.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٦.
(٦) الجرح والتعديل ١/ ٦٨.

الحديث عن سفيان نبل:

قال أبو بكر بن عباس: إني لأرى الرجل يحدث عن سفيان فينبل في عيني[1].

إمام في السنّة والحديث:

يقول عبد الرحمٰن بن مهدي: الناس على وجوه، فمنهم إمام في السنّة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في السنّة وليس بإمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنّة وإمام في الحديث فسفيان الثوري[2].

سفيان لا يحدث النبط ولا سفل الناس:

كان سفيان لا يحدث النبط ولا سفل الناس، وكان إذا رآه ساءه، فقيل له في ذلك فقال: إنما العلم أخذ عن العرب، فإذا صار إلى النبط وسفل الناس قلبوا العلم[3].

ينبغي أن يكون صاحب الحديث مكفياً:

يقول سفيان: يعجبني أن يكون صاحب الحديث مكفياً لأن الآفات إليهم أسرع وألسنة الناس إليهم أسرع[3].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٨.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١١٨.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٩.

كان أبصر بالرجال:

قال يحيى بن سعيد: كان سفيان أبصر بالرجال من شعبة[١].

روايته للحديث بالمعنى:

حدّث عبد الرزاق قال: قال صاحب لنا لسفيان: حدّثنا كما سمعت، فقال: لا والله لا سبيل إليه، ما هو إلا المعاني[٢].

قال زيد بن الخباب: سمعت سفيان يقول: إن قلت إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني[٢].

ويقول سفيان: إني لأكتب الحديث من سبعة أوجه والمعنى واحد[٣].

توثيقُـــهُ

ثقة مأمون:

قال ابن سعد: كان سفيان ثقة مأموناً، كثير الحديث، حجة[٤].

وقال يحيـى بن معين: سفيان الثوري ثقة[٥].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٦.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٧٢.
(٤) طبقات ابن سعد ٦/ ٣٧١.
(٥) الجرح والتعديل ١/ ٦٦.

وقال النسائي: سفيان أجل من أن يقال فيه ثقة[1].

وقال عبد العزيز بن أبي رزمة: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: ألا ترى ما روى سفيان؟ فقال أبو حنيفة: أتأمرني أن أقول: إن سفيان يكذب في الحديث؟ لو كان في عهد إبراهيم ـ النخعي ـ لاحتاج الناس إليه في الحديث[2].

عن علقمة بن عبد الله قال: يا أبا سعيد ـ هو يحيى بن سعيد القطان ـ خالفك أربعة، قال: من؟ قال: زائدة، وأبو الأحوص، وإسرائيل، وشريك. فقال يحيى: لو كانوا أربعة آلاف مثل هؤلاء كان سفيان أثبت منهم[3].

وقال الذهبي: سفيان الحجة الثبت متفق عليه. مع أنه كان يدلِّس عن الضعفاء ولكن له نقد وذوق[4].

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٤.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٩.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٧٦.
(٤) ميزان الاعتدال ١/ ١٦٩.

أَمِيرُ المؤْمِنِيْنَ فِيْ الحَدِيْثِ

أمير المؤمنين:

قال شعبة، وابن عيينة، وأبو عاصم، وابن معين، وغير واحد من العلماء: سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث[1].

هل كان سفيان يدلس؟!

التدليس: أن يروي عمن عاصره أو لقيه ما لم يسمعه منه، بل سمعه رجل عنه، موهماً سماعه، حيث أورده بلفظ يوهم الاتصال ولا يقتضيه، قائلاً: قال فلان، أو عن فلان ونحوه. وأسوأ أنواع التدليس أن يسقط الشيخ الضعيف ويروي عن شيخه الثقة الشهير، فيكسب الحديث العلو والصحة من حيث ظاهره، ولو ذَكَر الشيخ الضعيف لنزل الحديث وضعف، ولا يكون بذلك كاذباً باستعمال لفظ: عن فلان، أو قال فلان مدلِّساً لأن لفظ عن وقال محتمل

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٣.

السماع منه وعدم السماع. واشتهر كثير من المحدثين بالتدليس، ولا ضرر ممن يدلس عن الثقة. أما سفيان الثوري فكان يدلِّس عن الضعفاء، وهذا أمر لا يعرفه إلا متمرس بالحديث ورجاله.

قال عبد الله بن المبارك: حدث سفيان بحديث فجئت وهو يدلِّسه، فلما رآني استحيى وقال: نرويه عنك[1]. وتقدم قول الذهبي فيه: أنه كان يدلِّس عن الضعفاء.

مرسلات سفيان:

يقول ابن الصلاح: صورة المرسل التي لا خلاف فيها: حديث التابعي الكبير الذي قد أدرك جماعة من الصحابة وجالسهم كعبد الله بن عُدي ثم سعيد بن المسيّب وأمثالهما إذا قال: قال رسول الله ﷺ. والمشهور التسوية بين التابعين.

وقال أبو عمرو بن الحاجب في مختصره في أصول الفقه «المرسل: قول غير الصحابي: قال رسول الله ﷺ[2]».

حُجِّيَّة المرسل:

قال مسلم في مقدمة كتابه: (إن المراسيل في أصل قولنا

---

(١) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٥.

(٢) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ٤٨ ـ ٤٩.

وقول أهل العلم بالأخبار ليس بحجة).

وقال ابن الصلاح: وما ذكرنا من سقوط الاحتجاج بالمرسل والحكم بضعفه هو الذي استقرّ عليه آراء جماعة من حفاظ الحديث ونقاد الأثر، وتداولوه في مصنفاتهم، والاحتجاج به مذهب مالك وأبي حنيفة وأصحابهما.

وهو محكيّ عن الإمام أحمد بن حنبل في رواية.

وأما الشافعي فنصّ على أن مرسلات سعيد بن المسيّب: حسان، قالوا: لأنه تتبّعها فوجدها مسندة.

وقال الشافعي أيضاً: أما مراسيل غير كبار التابعين فلا أعلمُ أحداً قبلها[1].

وكان الكثير من كبار المحدثين الأقدمين يُرْسلون، ومنهم سفيان الثوري، غير أن ابنَ معين يقول: مرسلاتُه ـ أي سفيان الثوري ـ شبه الريح ـ أي لا شيء ـ، وكذا قال أبو داود، قال: ولو كان عنده شيء لصاح به[2] وبسبب ما دلَّس كثيراً، وبسبب إرساله، وبسبب روايته عن الضعفاء: أصابه بعد ذلك ندم كثير، وبكاء أكثر، ولقد همّ أن يدفن ما جَمَع من الحديث. وما اجتهد أحد أن يجمع من الحديث

---

(١) انظر اختصار علوم الحديث لابن كثير ٤٨ ـ ٤٩.
(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٤ ـ ١١٥.

مثلَ جمعه إلا دخل عليه الحديث الضعيف، وما أشدَّ على النفس المؤمنة أن تنقل من الحديث ما لم يثبت عن رسول الله ﷺ.

رأيه فيمن يكذّب في الحديث:

الكذابون في الحديث كثيرون، وهم أخطر شيء على حديث رسول الله، بل هم الخطر الداهم على دين الله، ولكن المحدِّثين بذلوا غاية جهدهم للكشف عنهم واستقصائهم، وبهذا فلهم الفضل الأكبر بتنقية حديث رسول الله ﷺ من الحديث الموضوع وهو الذي يكون في سنده كذّاب أو أكثر.

وكان الإمام البخاري يقول: إنا لا نأخذ ممن يكذب في حديثه بين الناس وإن لم يكذب بحديث رسول الله ﷺ.

وقال سفيان: من كذب سقط حديثه.

وقال: قال وكيع: هذه بضاعتنا لا يرتفع فيها إلا صادق[1].

وقال سفيان أيضاً: لو هَمَّ رجل أن يكذب في الحديث وهو في بيت في جوف بيت لأظهر الله عليه[2].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٧٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٨.

وعن عيسى بن يونس قال: دخل سفيان الثوري على محمد بن سعيد بن أبي قيس الأزدي فاحتبس عنده، ثم خرج إلينا فقال: إنه كذاب، قال أبو مسهر: قتله أبو جعفر في الزندقة[1].

أخبرني مهران قال: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام فمرّ عبد الوهاب بن مجاهد، فقال سفيان: هذا كذّاب[2].

نقده للرجال:

علم الرجال هو من أهم علوم الحديث، ولولا هذا العلم لاختلط الصحيح من الحديث بالضعيف، والموضوع بالثابت، فمعرفة الرجال ونقدهم، وتشريحهم، وجرحهم أو تعديلهم هو أولى من كل شيء في معرفة صحة السند والجرح بشروطه مقدم على التعديل، إذا كان الجرح معلَّلاً وبغير هوىً، فإذا عُدِّل الرواة بالسند جميعه، واتصل السند حتى الصحابي صحّ الحديث سنداً، وإذا جُرح شخص واحد بالسند كله نزل الحديث من الصحة إلى الضعف أو إلى الوضع. وقد كان سفيان الثوري رحمه الله من الذين ينقدون

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٨.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٧٦.

الرجال، فمن ذلك ما قاله عليّ ابن المديني قال: سمعتُ يحيى بن سعيد يقول: سألت سفيان عن حديث حمّاد عن إبراهيم: في الرجل يتزوج المجوسية، فجعل لا يحدثني به، فمَطلَني به أيّاماً ثم قال: إنما حدّثني به جابر - يعني الجعفي - عن حماد، ما ترجو به منه؟! قال أبو محمد: كأنه لم يرض جابراً الجُعفي[1].

وقال علي ابن المديني أيضاً: سألت يحيى بن سعيد عن حديث سفيان عن حمّاد عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة: (إن أطيب ما أكلتم كسبكم)[2] قال لي سفيان: هذا وهم، قال يحيى: وقد حملته عنه، وهو عندي هكذا كما قال سفيان: وهم.

ويقول عبد الرحمٰن بن مهدي: كان سفيان يعجب من حفظ عبد الملك. قال صالح: قلت لأبي: هو عبد الملك بن عمير؟ قال: نعم. قال أبو محمد: فذكرته لأبي فقال: هذا وهم، إنما هو عبد الملك بن أبي سليمان،

---

(١) جابر الجعفي ضعيف رافضي كما في تقريب التهذيب.
(٢) هذا الحديث لفظه: (إن أطيب ما أكلتم من كسبكم) رواه أبو داود رقم ٣٥٢٨ في البيوع، والترمذي رقم ١٣٥٨ في الأحكام، والنسائي رقم ٧/ ٢٤١ في البيوع، وابن ماجه رقم ٢١٣٧ باب الحث على المكاسب. والحديث صحيح.

وعبد الملك بن عمير: لم يوصف بالحفظ.

قال الحسن بن عياش: كنا نأتي سفيان إذا سمعنا من الأعمش، فنعرضها عليه بالعشي فيقول: هذا من حديثه وليس هذا من حديثه[1].

عبد الرحمٰن بن مهدي يقول: حدثت سفيان أحاديث إسرائيل عن عبد الأعلى عن ابن الحنفية، قال: كانت من كتاب، قلت: يعني أنها ليست بسماع.

وقال عبد الرحمٰن قال: سألت سفيان عن حديث عن علي وعبد الله في المتلاعنين فأنكره، وقال: لو كان هذا عن عاصم. قال أبو محمد ـ هو عبد الرحمٰن بن أبي حاتم الرازي ـ ذكرته لأبي فقال: هذا حديث رواه قيس بن الربيع عن عاصم عن زرّ عن عليّ.

يقول يحيـى بن سعيد: قلت لسفيان في أحاديث عبد الأعلى عن محمد بن الحنفية فوهنها.

وقال يحيـى بن سعيد أيضاً: قال لي سفيان بن سعيد:

---

(١) كان الأعمش رحمه الله كثير الحديث كثير التدليس، سمع كثيراً من الكبار، ثم كان يسمع من بعض الأصاغر أحاديث عن أولئك الكبار فيدلِّسها عن أولئك الكبار، فحديثه الذي هو حديثه ما سمعه من الكبار وما سواه فسمعه من الصغار.

كان ابن أبي ليلى مؤدِّباً، قال أبو محمد: يعني أنه لم يكن بحافظ.

وقال يحيـى بن سعيد: قال سفيان: حديث الأعمش عن أبي صالح: (الإمام ضامن) لا أُراه سمعه من أبي صالح ـ يعني أنه دَلَّسَه عليه ـ.

وقال عبد الرحمٰن: سألت سفيان عن حديث الأعمش عن أبي وائل قال: عن عبد الله: (لا يزال الرجل في فسحَة من دينه). فأنكر أن يكون عن أبي وائل، قال: لما سمع من عبد الملك بن عمير أنا ذهبت به إليه ـ يعني أنه دلّسه عليه أيضاً ـ.

ويقول زيد بن الحباب: سمعت سفيان الثوري يقول: عجباً لمن يروي عن الكلبي.

وعن مهران قال: مرّ عبد الوهاب ـ يعني ابن مجاهد ـ، فسألت سفيان عنه فأعرض عني بوجهه[1].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: كنت أذكر صالحاً المُرِّي لسفيان الثوري فيقول القصص، القصصَ ـ كأنه يكرهه ـ وكان إذا كانت له حاجة بكَّر إليها، فبكَّر يوماً وبكرت معه،

---

(١) ما كتبناه من نقده للأعمش ولغيره مختصر من كتاب الجرح والتعديل لعبد الرحمٰن بن أبي حاتم ٦/ ٦٩ ـ ٧٠.

فجعلتُ طريقنا على مسجد صالح المُرِّي، فقلت: يا أبا عبد الله ندخل نصلي في هذا المسجد؟ فدخلنا فصلّيْنا، وكان يومَ مجلس صالح، فلما صلَّوْا ازدحم الناس، فبقينا لا نقدر أن نقوم، وتكلم صالح، فرأيت سفيان يبكي بكاءً شديداً: فلمّا فرغ وقام قلت له: يا أبا عبد الله، كيف رأيت الرجل؟ قال: هذا ليس بقاصّ، هذا نذير قوم[1].

ثناؤه على الثقات من المحدثين:

قال عثمان بن زائدة: قلت لسفيان: إلى من أجلسُ بعدك؟فأطرق ساعة، ثم قال: ما أعرف أحداً ـ أقول: خشي أن يشهد بأحد خيراً فيُسأل عن ذلك ـ فقلت: اللَّهَ اللَّهَ، قال: لا عليك أن تكتبَ الحديث من ثلاثة: من زائدةَ بن قُدامَة، وأبي بكر بن عياش، وابن عيينة.

أقول: قال الحافظ ابن حجر: أما زائدة بن قدامة الثقفي، أبو الصلت الكوفي: فهو ثقة ثبت صاحب سُنّة، مات سنة ستين ومائة.

وقال: وأما أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدِي الكوفي المقرىء: ثقة عابد، إلا أنه لما كبرَ ساء حفظُه، وكتابُه صحيح، توفي سنة أربع وتسعين ومئة وقد قارب المئة.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٨١.

وقال: وأما سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، وقال مرة عنه فقال: ذاك أحد الأَحَدين، وكان ربما دلّس لكن عن الثقات، مات سنة ثمان وتسعين، وقد جاوز التسعين.

ويقول الثوري: كان جابر ورعاً في الحديث، ما رأيتُ أورعَ في الحديث منه.

وقال: إذا قال جابر حدّثنا أو أخبرنا فذاك.

أقول: قال الحافظ ابن حجر في تهذيبه: هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله الكوفي.

قال يحيى بن أبي بُكير عن شعبة: كان جابر إذا قال حدّثنا وسمعت فهو من أوثق الناس. وقال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا أن جابراً ثقة.

يقول الشافعي: قال سفيان الثوري لشعبة: لئن تكلمت في جابر الجعفي لأتكلَّمَنَّ فيك.

وقال ابن معين: وكان جابر كذاباً، وقال في موضع آخر: لا يُكتب حديثه ولا كرامة. وقال بيان بن عمرو عن يحيى بن سعيد: تركنا حديث جابر قبل أن يقدم علينا الثوري. وعن إسماعيل بن أبي خالد: قال الشعبي لجابر: يا جابر لا تموت حتى تكذب على رسول الله ﷺ، قال

إسماعيل: فما مضت الأيام والليالي حتى اتُّهم بالكذب.

وقال يحيى بن يعلى: قيل لزائدة: ثلاثة لا تروي عنهم: ابن أبي ليلى وجابر الجعفي والكلبي؟! قال: أما الجُعفي فكان والله كذّاباً يؤمن بالرجعة.

وقال أبو يحيى الحِمّاني عن أبي حنيفة: ما لقيتُ من لقيت أكذبَ من جابر الجعفي، ما أتيته بشيء من رأيي إلا جاءني فيه بأثر، وزعم أن عنده ثلاثين ألفَ حديث لم يُظهرها.

وهكذا ترى كيف اختُلف فيه بين الجرح والتعديل، ومعلوم أن الجرح مقدّم على التعديل، فما بالك إذا كان الأكثرون من المحدثين الكبار يكذبونه؟

قال بشر بن المفضل: لقيت سفيان الثوري بمكة فقال: ما خلَّفتُ بعدي بالكوفة آمَنَ على الحديث من منصور بن المعتمر، وقال: ربما حدث عن رجلين عن إبراهيم ـ أي لا يدلّس.

قلت: قال ابن حجر: منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي أبو عتَّاب الكوفي: ثقة ثبت، وكان لا يدلّس، من طبقة الأعمش، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

وقال عبد العزيز بن الخطاب الكوفي بالبصرة: سألت

عبد الله بن داود: ما كان أبو الجحاف عند سفيان؟ فقال: كان يوثقه ويعظمه.

قلت: قال ابن حجر عنه في التقريب: صدوق شيعي ربما أخطأ.

وقال سفيان الثوري: كنا إذا اختلفنا في شيء سألنا مِسعراً عنه.

قلت: قال الحافظ ابن حجر في التقريب: مسعر بن كدام: ثقة ثبت فاضل، مات سنة ثلاث أو خمس وخمسين.

قال أحمد بن يونس: سمعت الثوري وذكر المعافى بن عمران فقال: ياقوتة العلماء.

قلت: قال الحافظ في التقريب: المعافى بن عمران الأزدي: ثقة عابد فقيه مات سنة خمس وثمانين أي ومائة.

وقال علي: قلت ليحيى: كان سفيان يوثقه ـ يعني جبلة بن سُحَيم ـ فقال برأسه ـ أي أشار برأسه ـ أي نعم.

قلت: قال الحافظ: جبلة بن سحيم: كوفي ثقة مات سنة خمس وعشرين.

ويقول يحيى بن الضريس: كان سفيان يدل على زائدة بن قدامة في كتابة الحديث.

قلت: قال الحافظ: زائدة بن قدامة، أبو الصلت الكوفي: ثقة ثبت صاحب سُنّة، مات سنة ستين ومئة.

عن ابنِ المبارك عن سفيان الثوري نا سلمة بن كهيل، وكان ركناً من الأركان ـ وشدّ قبضته ـ وحدّثنا حبيب بن أبي ثابت ـ وكان دعامة ـ.

قلت: قال الحافظ: سلمة بن كهيل الحضرمي أبو يحيى الكوفي ثقة. وقال: حبيب بن أبي ثابت أبو يحيى الكوفي: ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس، مات سنة تسع عشرة ومئة.

وكان سفيان الثوري يحسن الثناء على موسى بن أبي عائشة.

أقول: قال الحافظ: موسى بن أبي عائشة الهمْداني، أبو الحسن الكوفي: ثقة عابد، وكان يرسل.

وقال سفيان بن عيينة: قال لي سفيان الثوري: رأيت منصوراً، وعبد الكريم الجزري، وأيوب السختياني، وعمرو بن دينار هؤلاء الأعين الذين لا يُشَكّ فيهم.

أقول: أما منصور بن المعتمر فقد تقدم قول الحافظ ابن حجر فيه، وأما عبد الكريم الجزري فيقول الحافظ: عبدالكريم بن مالك الجزري أبو سعيد مولى بني أُمية ثقة

مات سنة سبع وعشرين، وأما أيوب السختياني فيقول فيه الحافظ: أيوب بن كيسان أبو بكر البصري ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العبّاد مات سنة إحدى وثلاثين ومئة، وأما عمرو بن دينار فيقول فيه الحافظ: عمرو بن دينار المكي أبو محمد الأثرم الجُمَحي مولاهم: ثقة ثبت مات سنة ست وعشرين ومئة.

وقال حفص بن غياث: قال لنا سفيان الثوري يوماً: من تأتون؟ قلنا: الحجاج بن أرطاة، قال: عليكم به، فإنه ما بقي أحدٌ أعرفُ بما يخرج من رأسه منه[1].

وعن ابن المبارك عن سفيان قال: (حفّاظ الناس ثلاثة: إسماعيل بن أبي خالد، وعبد الملك بن أبي سليمان العَرْزمي، ويحيى بن سعيد الأنصاري.

وحفاظ البصريين ثلاثة: سليمان التيمي، وعاصم الأحول، وداود بن أبي هند، وكان عاصم أحفظهم).

قلت: أما إسماعيل، فقال الحافظ: إسماعيل بن أبي خالد الأحمسي مولاهم، البجلي: ثقة ثبت مات سنة ست وأربعين ومئة.

وأما عبد الملك فيقول الحافظ: عبد الملك بن

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٦٩.

أبي سليمان العَرْزمي صدوق، له أوهام، مات سنة خمس وأربعين ومائة.

وأما يحيى بن سعيد النجاري الأنصاري، قال ابنُ سعد: كان ثقةً كثير الحديث حجة ثَبْتاً مات سنة أربع وأربعين ومائة.

وأما حفاظ البصريين الثلاثة فمنهم سليمان التيمي، وهو كما يقول الحافظ: سليمان بن طرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، ثقةٌ عابدٌ، مات سنة ثلاث وأربعين ومئة. ومنهم عاصم بن سليمان الأحول البصري، ثقةٌ، لم يتكلم فيه إلاَّ القَطان، وكأنه بسبب دخوله في الوِلاية، مات بعد سنةِ أربعين ومائة كما قال الحافظ.

ومنهم داود بن أبي هند البصري ثقة متقن كان يهم بأَخَرَة مات سنة أربعين ومئة كذا يقول الحافظ[1].

قال ابن داود: سمعت سفيان يقول: فقهاؤنا ابن شُبْرُمة وابن أبي ليلى.

---

(١) كلامه عن الثقات من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/ ٧٢ـ ٨٢ والتعليق على كلامه من التقريب للحافظ ابن الحجر أو من تهذيب التهذيب للحافظ أيضاً.

هل صحّف الإمام الثوري كلاماً قط؟

التصحيف: (هو أن يقرأ الشيء علىٰ خلاف ما أراد كاتبه أو على ما اصطلحوا عليه).

لم يعثر أحدٌ على تصحيف للثوري، وقلّما سَلِم أحد من المتقنين من التصحيف. ولكن عثروا له على تصحيفة واحدة. قال علي ابن المديني: لا أعلمُ سفيان صحَّف في شيء قطُّ إلا في اسمِ امرأة أبي عبيدة كان يقول: حُفينة أي بالحاء والصواب: جُفَينة بالجيم[1].

(كفى المرء نبلا أن تُعَدّ معايبه)

العمل في الحديث:

هناك فئة من مقلِّدي مقلِّدي.. الشيوخ والكتب لا يَرَوْن في الحديث النبوي إلا التماسَ البركة، ولا يرون العمل به ما دام هناك فقه، كما لا يرون أنه يمكن أنْ يغيِّر الحديث الثابت حكماً استقر عليه اجتهادُ صاحب المذهب على خلافه، وقد صرّح بعضهم بقوله على ملأ: لا تسمعوا للمحدثين وخذوا من الفقهاء ـ يعني فقهاء مذهبه ـ. ولو جئت لهؤلاء وأمثالهم بأحاديث البخاري ومسلم بغير ما قرأ من كتب بعض المتأخرين لردّها كلَّها بغير رفق، واستمسك بقول مقلِّد مثله.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٤٠.

ويرحم الله الإمام الثوري فقد قال تلميذه عبد الرحمٰن بن مهدي: سمعت سفيان يقول: (ما بلغني عن رسول الله حديث قطّ إلا عملتُ فيه ولو مرة)[1].

وقال مؤمل: (ما رأيت عالماً يعمل بعلمه إلا سفيان)[2].

المقارنة بين كبار العلماء والثوري

وَلوعِ الناس بالمقارنة بين قوم وقوم، وبين بلد وبلد، وبين مذهب ومذهب، وبين علم وعلم، وبين عالِم وعالِم، منذ القديم، ليظهر الفرق ويتبيّن القوي والأقوى. وإذا خَلَت هذه المقارنة من العصبية لأحدهما أو العَصَبية على أحدهما لكان فيه نفع وخير. ولكن قلّما تتجرد هذه المقارنة من الأهواء، ولو تجرّدت فكانت بحثاً علميّاً مجرداً كان فيها الكثير من النفع والخير. وقد قارن السلف ومازوا الأضعف من الأقوى، ومازوا الجيِّد من الأجود، والعالم من الأعلم، والموثوق من الأوثق.

وبمناسبة الكتابة عن الثوري فقد قارن العلماء والمحدثون بينه وبين أبي حنيفة، وبينه وبين مالك، وبينه وبين شعبة، وبينه وبين سفيان بن عيينة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٢.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ١٨.

سفيان الثوري وأبو حنيفة رحمهما الله:

يقول يوسف الفريابي: سمعت سفيان الثوري يقول: (ما سألتُ أبا حنيفة عن شيء قط)[1].

وقال علي ابن المديني: (كان ابنُ المبارك يقول: إذا اجتمعَ هذان على شيء فذاك قَويّ ـ يعني سفيان وأبا حنيفة ـ)[2].

فعلى هذا غير وارد ما ذكره صاحبُ الجواهر المضية في طبقات الحنفية: من أن سفيان الثوري أخذ عن علي بن مُسهِر علم أبي حنيفة ونسخ منه كتبه، وكان أبو حنيفة ينهاه عن ذلك[3].

كيف يكون ذلك وأبو حنيفة رحمه الله ينهاه؟ ولو أراد لأَخذ عن أبي حنيفة نفسه وهو معاصرٌ له، ومن بَلده، وهو يقول كما تقدم: ما سأَلتُ أبا حنيفة عن شيء قط، يقول محمد بن كثير: كنت عند سفيان الثوري، فذكر حديثاً، فقال رجل: حدّثني فلان بغير هذا، فقال: من هو؟ قال: أبو حنيفة، قال: أحلتني على غير مليء[4].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٣) الجواهر المضية ٢٥٠.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٧٥ وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.

أقول: ذلك أن أبا حنيفة فقيهٌ كبير جليل، ولم يكن في الحديث في درجة سفيان وأمثاله.

ويقول فُضيل بن عِياض ـ الزاهد المشهور ـ: إنَّ هؤلاء أُشْربت قلوبُهم حبَّ أبي حنيفة وأفرطوا فيه حتى لا يَرَوْن أحداً أعلمَ منه، كما أفرطت الشيعة بحبّ عليّ. وكان ـ والله ـ سفيان ـ الثوري ـ أعلم منه.

أقول: قد يكون ذلك في الحديث أما في الاجتهاد والفقه فلا شك أن أبا حنيفة أعلم وأشهر.

فرحم الله أبا حنيفة وسفيان الثوري، فكلٌّ فيما ذهب إليه عالم كبير ومجتهد خطير.

مالك وسفيان:

كان الإمام مالك لا يركن إلا إلى علم علماء أهل المدينة، ويرى أن الكثرة من الصحابة نزلت في المدينة، وكان لا يعتدّ بعلم أهل العراق كثيراً ولا قليلاً، وكان يسمِّي العراقَ دار الضَّرب ـ أي كما يضربون الذهب والفضة دنانيرَ ودراهم، كذلك يضربون الحديث النبوي أي يخترعونه ـ وكان يقول: يَخرج الحديثُ من عندنا شِبراً فيعود من العراق ذراعاً. ومهما يبلغ اجتهاد المجتهد عندهم وينبغ المحدِّث فهو عنده ما زال صغيراً لا يُؤْبَه له.

وإذا قلت العراق فيشمل علماء البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من بلاد العراق. وإذا أتى ذكْرُ عَلَم من أعلامهم ذكره مُسْتَخِفّاً.

قال ضمرة: سمعت مالكاً يقول: إنما كانت العراق تجيش علينا بالدراهم والثياب ثم صارت تجيش علينا بسفيان الثوري[1].

وأكبر مدح مدحه مالك لسفيان ما قاله عبد الله بن داود: شهدت مالك بن أنس، فذكر سفيان، فقال: أرجو أن يكون كان رجلاً صالحاً[2] أمَّا شهادة كبار المحدثين في كليهما فدُونك ما يأتي:

عن علي قال: سألت يحيـى بن سعيد القَطّان[3]، قلت له: أيُّما أحبُّ إليك رأيُ مالك أو رَأي سفيان؟ قال: سفيان، لا يُشَكّ في هذا، ثم قال يحيـى: (سفيان فوق مالك في كل شيء)[4].

وقال يحيـى بن سعيد القطان أيضاً: سفيان الثوري أحبُّ

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٤.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٩٤.
(٣) يحيـى بن سعيد بن فروخ القطان حافظ ثقة متقن إمام قدوة روى عنه من شيوخه شعبة والسفيانان. مات سنة ثمان وتسعين ومائة.
(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٤.

إليَّ من مالك في كل شيء ـ يعني في الحديث، وفي الفقه، وفي الزهد ـ[1].

وعن عبد المؤمن بن خلف النسفي قال: سألت أبا علي صالحَ بن محمد عن سفيان الثوري ومالك، فقال ـ منصفاً ـ: سفيان ليس يتقدمه عندي في الدنيا أحدٌ، وهو أحفظُ وأكثرُ حديثاً، ولكن كان مالك ينتقي الرجال، وسفيان يروي عن كل أحد[2].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي[3]: ما رأيت أعقلَ من مالك، ولا رأيت أعلمَ من سفيان[4].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي أيضاً: كان وهيب[5] يقدِّم سفيان في الحفظ ـ يعني على مالك[6] ـ وكان سفيان الثوري يقول: (مالك ليس له حفظ).

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٤.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٠ ـ ١٧١.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٩.
(٤) عبد الرحمٰن بن مهدي بن حسّان أبو سعيد البصري ثقة ثبت حافظ عارف بالرجال والحديث توفي سنة ثمان وتسعين ومائة.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٩.
(٦) وهيب بن خالد الباهلي مولاهم أبو بكر البصري، ثقة ثبت. تغير قليلاً بأخرة توفي سنة خمس وستين ومئة.

يقول الذهبي: قلت: هذا يقوله سفيان لقوّةِ حافظته بكثرة حديثه ورحلتِه إلى الآفاق، أما مالك فله إتْقان وفقه لا يُدْرَكَ شأوه فيه، وله حفظ تام. فرضي الله عنهما[1].

سفيان وشعبة:

سفيان نحن هنا بصدده. أما شعبة فهو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولاهم أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة حافظ متقِن، كان الثوري يقول عنه: هو أميرُ المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذبّ عن السنة وكان عابداً. مات سنة ستين، أي قبل وفاة الثوري بسنة، وهو قرين الثوري ومالك.

قال يحيى القطان: ليس أحد أحبَّ إليّ من شعبة، ولا يعدلهُ عندي أحد، فإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان، ولم أكن أهتم أن يقول سفيان لمن فوقه سمعت فلاناً، ولكن يهمني أن يقول هو: حدّثنا[2].

أقول: يقول القطان هذا خشيةَ أن يقع في تدليسه، فإذا قال: حدّثنا، نفي التدليس ويقول يحيى بن سعيد ـ

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٦٣، وسير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٠.
(٢) تاريخ البخاري ٤/ ٩٣.

أي القطان ـ أيضاً: كان سفيان أبصر بالرجال من شعبة[1].

وقال يحيـى بن سعيد أيضاً: شعبة أحبُّ إليَّ من سفيان ـ يعنـي في الصلاح ـ فإذا جـاء الحديث فسفيـان ـ يعني أثبت[2].

وقال يحيـى القطان: لو اتَّقى اللَّهَ رجلٌ لم يحدِّث إلا عن سفيان وشعبة[3].

وقال وكيع: إن سفيان أقلُّ خطأ في الحديث[4].

وقال عبد المؤمن: سمعت أبا علي يقول: سفيان أكثر حديثاً من شعبة وأحفظ، يبلغ حديثه ثلاثين ألْفاً، وحديث شعبة قريب من عشرة آلاف[5].

قال الزعفراني: سمعت أحمد بن حنبل يسأل عفان: أيُّهما أكثر غلطاً سفيان أو شعبة؟ قال: شعبة بكثير، فقال أحمد: بأسماء الرجال[6].

قال عبد العزيز بن أبي رزمة: قال رجل لشعبة: خالفك

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٥.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٦.
(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٧.
(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٧١.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧.

سفيان، فقال: دمغتني[١].

وقال أبو عبيد الآجُرِّي: سمعت أبا داود يقول: ليس يختلف سفيان وشعبة في شيء إلا يظفر به سفيان، خالفه في أكثر من خمسين حديثاً، القول فيها قول سفيان[٢].

وقال أبو بكر بن أبي عتاب الأعين قال: سمعت أحمد بن حنبل وقلت: من أحبُّ إليك في حديث الأعمش؟ قال: سفيان، قلت: شعبة؟ قال: سفيان[٣].

وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: سفيان أحفظ للإسناد وأسماء الرجال من شعبة[٤].

ويقول يحيى القطان: شعبة معلِّمي وسفيان أحبُّ إليّ منه[٥].

قيل لإسماعيل بن إبراهيم: كان شعبة أكثرَ علماً أو سفيان؟ قال: مَا عِلْمُ شعبةَ عند علم سفيان إلا كتفلة في بحر[٦]. وهذا لا شك فيه مبالغة كثيرة وتحيُّز.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٦٣ ـ ٦٤.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٦٦.
(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٦.
(٦) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٥.

ويقول يحيى بن سعيد: سفيان أثبت من شعبة وأعلم بالرجال[1].

وعن شعبة قال: سفيانُ أحفظُ مني[2].

وهذا الاعتراف فيه نُبْل وشَرَف ويتبين من كلام كبار المحدثين والعلماء أن سفيان أقوى وأحفظُ وأعلمُ بالرجال من شُعبة، وذلك لأن سفيان له حافظة قوية لا يستطيع أن يتحداه بها أحد، وهذه هبة من الرحمٰن تعالى غير أنه مع ذلك جمع الكثير من الحديث الضعيف لأنّ غايته أن يكون مقدارُ ما يحفظ لا يصل إليه في عصره إلا أقلُّ من القليل. فلذلك روى من القوي والضعيف.

السفيانان:

سفيان الثوري وسفيان بن عيينة. والثوري أقدم بنحو عشر سنين، وتوفي قبله بأكثر من ثلاثين سنة، على أنّ ابن عيينة روى عن الثوري. ولِعِظَم الرجلين في السنّة قابلوا بينهما قليلاً.

سئل أحمد بن حنبل: سفيان الثوري كان أحفظ أو ابن عيينة؟

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٧.

فقال: كان سفيان الثوري أحفظ وأقلَّ الناس غلطاً، وأما ابن عيينة فكان حافظاً، إلا أنه إذا صار في حديث الكوفيين كان له غلط كثير، وقد غلط في حديث الحجازيين في أشياء. قيل له: إن فلاناً يزعم أن سفيان بن عيينة كان أحفظهما، فضحك، ثم قال: فلان حسن الرأي في ابن عيينة[1].

قال الإمام أحمد ذلك مع أنه لم يدرك سفيان الثوري، وأدرك ابن عيينة وسمع منه الكثير.

وقال علي ابن المديني ـ المحدث الجليل الحافظ الكبير الناقد ـ سفيان بن عيينة أحسن حديثاً من سفيان الثوري وشعبة[2].

وقال ابن مهدي: عند ابن عيينة من معرفته بالقرآن وتفسير الحديث ما لم يكن عند سفيان الثوري[3].

أقول: ورأيي مما قرأته عن الاثنين أن الثوري أمضى حفظاً وأكثرُ جمعاً، ولكنه مع ذلك جمع القويّ والضعيف والحديث الثابت مع غيره وفي الكثرة الزلل. وأخطر شيء

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٠.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٨٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٥٨.

لديه تدليسه عن الضعيف، يستر الضعيف ويقفز إلى الأقوى. فهذا يُوهم أن الحديث قويُّ السند مع أن في بعض رجاله ضعفاً، ولذلك ندم كثيراً على أشياء كتبها عن قوم. ولذا أوصى أن تُدفن كتبه، كما نقل الأصمعي[1].

ويقول أبو عبد الرحمٰن الحارثي: دفن سفيان كتبه، فكنت أُعينه عليها، فقلت: يا أبا عبد الله، وفي الركاز الخمس، فقال: خذ ما شئت، فعزلت منها شيئاً كان يحدثني منه[2].

وأحياناً يوصي أن تُغسل كتبه، فقد أوصى إلى عمّار بن سيف فقال: ما كان بحبر فاغسله، وزاد فيه: وما كان بانقاس فامحه، قال: فسخنا الماء واستعان بنا، قال: فأخرج كتباً كثيرة، قال: فجعلنا نمحوها ونغسلها[3].

وأما سفيان بن عيينة فلم يجمع من الحديث ما جمع سفيان الثوري، ولكنه حرص أن لا يأخذ إلا عن الثقات وروى عن نحو ثمانين تابعياً، منهم الزهري، والثوري لم يلق الزهري ولا روى عنه، قال: لقلة النفقة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ١١٦.

وكان ابن عيينة يدلس، ولكن تدليسه عن الثقات، ولا ضير على من دلَّس عن الثقة.

رأي سفيان ببعض رجال الحديث:

أثنى على بعض الرجال بالحفظ والثقة والتعديل، وجرح آخرين بقلة الحفظ وعدم الثقة والضعف والنسيان، فمن أثنى عليهم خيراً أربعة؛ إذ قال سفيان فيهم: حفاظ الحديث أربعة: إسماعيل بن أبي خالد، وعاصم الأحول، ويحيى بن سعيد، وعبد الملك بن أبي سليمان[1].

وعن سفيان بن عيينة قال: قال لي سفيان الثوري: رأيت منصوراً، وعبد الكريم الجزري، وأيوب السختياني، وعمرو بن دينار؟ هؤلاء الأعين الذين لا يشك فيهم[2].

قال عثمان بن زائدة: قلت لسفيان: إلى من أجلس بعدك؟ فأطرق ساعة ثم قال: ما أعرف أحداً، فقلت: الله الله. قال: لا عليك أن تكتب الحديث من ثلاثة: من زائدة بن قدامة، وأبي بكر بن عياش، وابن عيينة[2].

وقال أبو زرعة: محمد بن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ منه؛ منهم سفيان بن سعيد

---

(١) تاريخ أبي زرعة ١/ ٤٧٤.

(٢) الجرح والتعديل ١/ ٧٢ ـ ٧٣.

الثوري، وشعبة، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحمّاد بن سلمة، وابن المبارك، وإبراهيم بن سعد[١].

قال عبد العزيز بن الخطاب الكوفي[٢]: سألت عبد الله ابن داود: ما كان أبو الجحاف[٣] عند سفيان؟ فقال: كان يوثقه ويعظمه[٤].

قال علي: قلت ليحيى: كان سفيان يوثقه ـ يعني جبلة بن سحيم ـ فقال برأسه، أي نعم[٥].

يقول يحيى بن الضريس: كان سفيان يدل على زائدة بن قدامة في كتابة الحديث[٦].

وقال ابن المبارك عن سفيان الثوري نا سلمة بن كهيل ـ وكان ركناً من الأركان وشد قبضته ـ وحدّثنا حديث بن أبي ثابت، وكان دعامة[٧].

---

(١) تاريخ أبي زرعة ١/ ٥٣٧.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٧٤.
(٣) قال في التقريب عنه: صدوق شيعي ربما أخطأ واسمه داود بن أبي عوف.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٧٦.
(٥) الجرح والتعديل ١/ ٧٦.
(٦) الجرح والتعديل ١/ ٧٨.
(٧) الجرح والتعديل ١/ ٨٠.

وكان سفيان الثوري يحسن الثناء على موسى بن أبي عائشة[1].

قال بشر بن المفضل: لقيت سفيان الثوري بمكة فقال: ما خلفت بعدي بالكوفة آمن على الحديث من منصور بن المعتمر[2].

وكان سفيان الثوري يسمي المعافى بن عمران بن محمد ـ الياقوته، وكان يفتخر أهل الموصل به[3].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: كان سفيان يقدم سعيد بن جبير على إبراهيم ـ يعني النخعي[4] ـ.

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي أيضاً: سمعت سفيان الثوري يقول: ما رأيت أورع من جابر الجعفي[5] في الحديث[6].

وممن كان ينتقد من المحدثين ويشير إلى جرحهم عبد الوهاب بن مجاهد: عن مهران قال: مرّ عبد الوهاب ـ

(١) الجرح والتعديل ١/ ٨٢.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٧٤.
(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨٧.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٧٢.
(٥) في التقريب للحافظ ابن حجر: جابر الجُعفي ضعيف رافضي، وقال يحيى بن معين: كذّاب.
(٦) الجرح والتعديل ١/ ٧٧.

يعني ابن مجاهد ـ فسألت سفيان عنه، فأعرض عني بوجهه[1].

ويقول زيد بن الحباب سمعت سفيان الثوري يقول: عجباً لمن يروي عن الكلبي[2].

ويقول يحيى: قلت لسفيان في أحاديث عبد الأعلى عن محمد بن الحنفية ـ فوهنها[3].

وقال سفيان: كان ابن أبي ليلى مؤدباً ـ يعني لم يكن بحافظ[3] ـ.

وقال جرير: لم يكن أحد يجترىء أن يرد على منصور الحديث إلا سفيان، وزائدة، وأنا[4]، وكان ينتقد الأعمش ـ وكان كثير التدليس ـ ويعرف طلاب الحديث حديثه من غير حديثه. أخبر الحسن بن عباس قال: كنا نأتي سفيان إذا سمعنا من الأعمش فنعرضها عليه بالعشي فيقول: هذا من حديثه، وليس هذا من حديثه[5].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٧٧.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٧٣.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٨١.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٧٨.
(٥) الجرح والتعديل ١/ ٧٠ ـ ٧٢.

عِلْمُهُ فِي القُرْآنِ

العلم في تأويل القرآن وفهمه واكتناه، خفاياه هو أجلّ العلم وأعظمه، وليس بعالمٍ ولا فقيه مَن لم يكن خبيراً بلغة القرآن، ولن يستطيع أحد أنْ يتذوق القرآن ويفهمه حق الفهم ويُحسّ ما فيه من الإعجاز إلا من خاض كلام العرب وفهم أساليبهم، لأن القرآن الكريم على سنن أساليب العرب، وهو كتاب عربيّ مبين.

وقد كان سفيان الثوري ـ وهو عربيّ صليبة ـ عالماً بالقرآن له فيه دراية وعلم وفهم.

قال وكيع: كان سفيان لا يعجبه هؤلاء الذين يفسرون السورة من أولها إلى آخرها، مثل الكلبي[1]، لأن تفسير الواضح من القرآن ـ خصوصاً بالعبارات الركيكة من بعض المفسرين ـ يُضعف الأثر البلاغي في القرآن وحسبنا من تأويل الآيات الظاهرة قراءتها.

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٧٩.

وروي عنه عكس ذلك عن وكيع أيضاً قال: كان سفيان يصحح تفسير ابن أبي نجيح، ويعجبه ما كان حرفاً[1]. ولعلّ الصحيح بهذه العبارة: ويعجبه من التفسير ما لم يكن حرفاً حرفاً، لينسجم مع قوله الذي قبل هذا.

وكان سفيان الثوري يقول: سلوني عن علم القرآن، والمناسك، فإني عالم بهما[2].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: كان سفيان يأخذ المصحف فلا يكاد يمر بآية إلا فسّرها، فربما مرّ بالآية فيقول: أيُّ شيء عندك في هذه؟ فأقول: ما عندي فيها شيء؛ فيقول: تضيِّع مثل هذه، لا يكون عندك فيها شيء[3]؟!

تأويل ﴿لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾:

ومما فسّره من بعض الآيات قوله تعالى: ﴿لا تُلهِيهم تجارةٌ ولا بيع عن ذكر الله...﴾ [النور: ٣٧].

قال: كانوا يشترون ويبيعون ولا يَدَعون الصلوات المكتوبات[4].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٧٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧، والجرح والتعديل ١/ ١١٧.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ١١٦.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ١٥.

تأويل ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾:

وسُئل عن قوله تعالى: ﴿وَخُلق الإنسان ضعيفاً﴾[1] ما ضعفه؟ قال: المرأة تمر بالرجل، فلا يملك نفسَه عن النظر إليها، ولا هو يَنتفع بها، فأيّ شيء أضعف من هذا[2]؟.

تأويل ﴿وملكاً كبيراً﴾:

وعنه: ﴿ومُلْكاً كبيراً﴾[3]، قال: استئذان الملائكة عليهم[4].

تأويل ﴿وسَنستدرجهم﴾:

وعن سفيان: ﴿سَنَسْتَدرجهم﴾[5] قال: نُسْبِغ عليهم النعم ونمنعهُم الشكر[6].

تأويل ﴿ربِّ أرني أنظر إليك﴾:

عن عبد الله بن المبارك عن سفيان قال: لما قال موسى: ﴿ربِّ أرني أنظر إليك﴾ [الأعراف: ١٢٣].

---

(١) النساء: ٢٨.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٦٨.
(٣) الإنسان: ٢٠.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٩.
(٥) الأعراف: ١٨٢.
(٦) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨.

قالت الملائكة: يا ابن النساء الحُيَّض، لقد تكلْمتَ بأمر عظيم.

تأويل ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾:

وعن زُفَر عن سفيان في قوله: ﴿إنه ليس له سُلطانٌ على الذين آمنوا﴾[النحل: ٩٩] على أن تحمِلهم على ذنْبٍ لا يُغفر.

تأويل ﴿كل شَيء هَالك إلا وجْهَه﴾:

محمد بن الحسن قال: سمعت الثوري يقول: ﴿كلُّ شيء هالكٌ إلا وجْهَه﴾ [القصص: ٨٨] قال: ما أريد به وجهه.

تأويل ﴿ليبلوكم أيكم أحسَنُ عملاً﴾:

قال مؤمل في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُم أيُّكم أحسنُ عملاً﴾ [هود: ٧] قال: الزهد في الدنيا.

تأويل ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾:

الفضيل بن عياض قال: سمعت الثوري يقول: ﴿ربنا غَلَبَتْ علينا شِقْوتنا﴾ [المؤمنون: ١٠٦] قال: القَضَاء.

تأويل ﴿فما له من قوة ولا ناصر﴾:

ضمرة عن سفيان في قوله تعالى: ﴿فما لَه من قوّةٍ ولا ناصِر﴾ [الطارق: ١٠] قال: القوة: العَشيرة، والناصر: الحَليف.

تأويل ﴿وسَلامٌ على عباده الذين اصطفى﴾:

عن أبي عاصم عن سفيان في قوله تعالى: ﴿وسَلامٌ على عبادِه الذين اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩] قال: هم أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم.

تأويل ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾:

وعن ضمرة عن سفيان في قوله تعالى: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: الخوفُ الدائم في القلب.

تأويل ﴿إنّ المتقين في جنات وعيون﴾:

عن محمد بن حميد حدّثني سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿إنّ المتقين في جنّاتٍ وعُيُون. آخِذين ما آتاهم ربُّهم﴾ [الذاريات: ١٥ و١٦]، قال: من ثواب الفرائض ﴿إنَّهم كانوا قبل ذلك محسِنين﴾ [الذاريات: ١٦] قال: كانوا متطوّعين.

تأويل ﴿دعواهم فيها سبحانك اللّهم﴾:

عن الأشجعي قال: سمعت سفيان يقول في قوله تعالى: ﴿دَعْواهُم فيها: سبحانك اللّهم﴾ [يونس: ١٠] قال: إذا أراد الرجلُ من أهل الجنّة أن يدعوَ الشيء قال: ﴿سُبحانك اللّهم﴾ فيأتيه الذي دعا به.

تأويل ﴿يدعوننا رَغباً ورهباً﴾:

وعن سفيان الثوري: ﴿يدعوننا رَغَباً ورَهَباً﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: رغبةً فيما عندنا ورَهْبة مما عندنا ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾ قال: الخوف الدائم.

تأويل ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾:

وعن سفيان في قوله تعالى: ﴿لا يَحْزُنُهم الفَزَعُ الأكبر﴾ [الأنبياء: ١٠٣] قال: تطبق النار على أهلها.

تأويل ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدُور﴾:

وعنه في قوله تعالى: ﴿يعلم خائنة الأعين وما تُخفِي الصدور﴾ [غافر: ١٩] الرجل يكون في المجلس يسترق النظر في القوم إلى المرأة تمرّ بهم ﴿وما تخفي الصدور﴾ من الشهوة.

تأويل ﴿سُنة من قد أرسلنا قبلك مِنْ رسلنا﴾:

وعن الثوري في قوله تعالى: ﴿سُنة من قد أرسلنا قبلك من رسُلنا﴾ [الإسراء: ٧٧] قال: يقول: لم نرسل قبلك رسولاً يخرجه قومه إلاَّ هَلكوا.

تأويل ﴿يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾:

وعن الثوري في قوله تعالى: ﴿يَغفر لمن يشاء ويعذّب

من يشاء﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: نغفر لمن شاء الذنب العظيمَ ويعذب من شاء بالذنب اليسير.

تأويل ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾:

وقال ابن أبي الحواري: قلت لسفيان: بلغني في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ إنه يلقى الله وليس في قلبه أحد غيره، قال: فبكى، وقال: ما سمعتُ من ثلاثين سنة أحسنَ من هذا[1].

فقه سفيان

كان الإمام سفيان الثوري فقيهاً مجتهداً، يعد من كبار الأئمة المجتهدين البارزين، واجتهاده خاص به لم ينتزعه من أحد من أئمة عصره، وكان فقهه أقرب إلى الفقه الكوفي، وهذا الفقه مستمد أكثره من الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد أرسل عبد الله بن مسعود لأهل الكوفة ليعلم الناس ويفقههم ويقضي بينهم، ويبحث عن أحوالهم.

أصحاب ابن مسعود ستة:

قال علي بن المديني: أصحاب عبد الله بن مسعود ستة

---

(١) العقد الفريد ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

الذين يقرؤون ويفتون ، ومن بعدهم أربعة ، ومن بعد هـؤلاء سفيـان الثـوري، كـان يـذهـب مـذهبهـم، ويفتـي بفتواهم[1].

أفقه أهل الدنيا:

قال أحمد بن يونس: سمعت زائدة ـ وذكر عنده سفيان ـ فقال: ذاك أفقه أهل الدنيا[2].

لا أفقه من سفيان:

قال عبد الله بن داود: ما رأيت أفقه من سفيان[3].

أعلم الناس بالحلال والحرام:

قال سفيان بن عيينة: ما رأيت رجلاً أعلم بالحلال والحرام من سفيان الثوري[4].

أفقه الناس:

قلت لأحمد: كان سفيان أفقه الناس؟ قال: نعم، كان أفقه الناس، وأعبد الناس[5].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٥٨.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٧.
(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٤.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٩.
(٥) تاريخ أبي زرعة ١/ ٤٩٧.

كأنما اغتمسه من بحر:

يقول عبدالله بن المبارك: كنت إذا أعياني الشيء أتيت سفيان أسأله، فكأنما اغتمسه من بحر[1]. يقول وكيع: أيما أفقه عندكم الحكم وحماد أو سفيان؟ فسكت الناس، فلم يجبه أحد، فقال: كان سفيان بحراً[2].

القول قول سفيان:

عن يحيى بن معين قال: ما خالف أحد سفيان في شيء إلا كان القول قولَ سفيان[3].

من سادات الناس فقهاً:

قال ابن حبان: كان سفيان من سادات الناس فقهاً وورعاً وإتقاناً[4].

يستفتى وهو فتًى:

قال الوليد بن مسلم: رأيته بمكة يُستفتى ولما يخط وجهه بعد[4].

وقال محمد بن عبيد الطنافسي: لا أذكر سفيان إلا وهو

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٥٧.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٥٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ٨/ ٢٤٠.
(٤) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٥.

يفتي، أذكر منذ سبعين سنة ونحن في الكتاب، تمر بنا المرأة والرجل فيسترشدوننا إلى سفيان ليستفتوه فيفتيهم[1].

فقيه العرب:

قال محمد بن المعتمر بن سليمان: قلت لأبي: من فقيه العرب؟ قال: سفيان الثوري[2].

تواضع الثوري:

يقول سفيان الثوري ـ وقد كثر الناس عليه ـ لقد خشيت أن تكون الأمة قد ضاعت حين احتيج إليَّ[3].

أجاب فأصاب فحمد الله:

وقال الحسن بن صالح: كنا في حَلْقة ابن أبي ليلى، فتذاكروا مسألة، وطلع سفيان الثوري، فقال: ألقوها عليه، قال حسن: فجاء فجلس قريباً مني، فأجاب فيها فأصاب، فسمعته يحمد الله عزّ وجلّ فيما بينه وبين نفسه، قال حسن: فكنت أراه يطلب بنية ـ يعني العلم ـ[4].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٧.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٥٧.
(٣) تاريخ أبي زرعة ١/ ٦١١.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٥٨.

عاصم يستفتي سفيان:

قال المبارك بن سعيد: رأيت عاصم بن أبي النجود ـ التابعي صاحب قراءة عاصم ـ يجيء إلى سفيان يستفتيه ويقول: يا سفيان أتيتنا صغيراً وأتيناك كبيراً[1].

العلم الرخص عن الثقة:

قال أبو أسامة: سمعت سفيان الثوري يقول: إنما العلم عندنا الرخص عن الثقة وأما التشديد فكل إنسان يحسنه[2].

نماذج من فقه الثوري

اجتهاد سفيان الثوري وفقهه كثير جداً، وكان له فيه مقلدون، وفقهه مبثوث في أكثر كتب الفقه الكبيرة، وفي الفقه المقارن فقه الخلاف، ونأتي هنا ببعض ما عثرنا عليه في بطون بعض كتب الفقه. وأكثر فقهه أميل إلى الفقه الكوفي.

لا تجب النيّة في الطهارة:

من مسائله: لا تجب النيّة في الطهارة ـ الوضوء والغسل ـ وهو قول أبي حنيفة، وعند غيرهما تجب النيّة للتفريق بين العادة والعبادة.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٩.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٧.

تأخير التيمم والصلاة إلى آخر الوقت:

وقال في التيمم عند فقد الماء: ينبغي تأخير التيمم والصلاة إلى آخر الوقت إذا لم يكن على ثقة من وجود الماء، ولا على يأس. وبهذا قال أحمد بن حنبل.

يصلي بتيمم ما شاء من الفرائض:

وقال في التيمم: يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من الفرائض. وبه قال أبو حنيفة وداود، واختاره المزني.

سؤر ما لا يؤكل لحمه نجس إلا الآدمي:

وقال في السؤر - وهو بقية الماء أو الشراب أو الطعام - سؤر ما لا يؤكل لحمه نجس سوى الآدمي. وبه قال الأوزاعي.

الإسفار في الفجر أفضل:

وقال: الإسفار في صلاة الفجر أفضل - والإسفار ضياء تتعارف فيه الوجوه - وبه قال أبو حنيفة. وعند الشافعي، ومالك، وأحمد، وأبي ثور، وداود، تقديم الصبح في أول وقتها أفضل.

لا يؤذن للفجر قبل طلوعه:

وقال: لا يجوز الأذان للصبح قبل طلوع الفجر، وبه قال

أبو حنيفة. والحديث في البخاري ومسلم: إن بلالاً يؤذن بليل، فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم، وبالحديث قال مالك والشافعي، وأحمد، وداود، وأبو يوسف.

قدم المرأة الحرة ليست بعورة:

وقال سفيان الثوري: قدم المرأة الحرة ليست بعورة. وهو قول أبي حنيفة، وعند مالك والشافعي: جميع بدنها عورة إلا الوجه والكفين. وعند أحمد: إلا عينيها.

لا يرفع المصلي يديه إلا عند تكبيرة الإحرام:

وقال سفيان: لا يرفع المصلي يديه إلابتكبيرة الإحرام، ورفع اليدين عند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند القيام من التشهد الأول، أحاديثها ثابتة صحيحة في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبي داود، بل بجميع كتب الحديث المعتبرة وتكاد هذه الأحاديث بطرقها الكثيرة تبلغ التواتر كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر.

يقول سفيان بن عيينة: اجتمع الأوزاعي وسفيان الثوري بمنى، فقال الأوزاعي للثوري: لِمَ لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟ فقال الثوري: ثنا يزيد بن أبي زياد، فقال الأوزاعي: أروي لك عن الزهري عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ وتعارضني بيزيد بن أبي زياد؟ وقال الأوزاعي:

كأنك كرهت ما قلت، قال الثوري: نعم. قال الأوزاعي: قم بنا نلتعن أينا على الحق؟ قال: فتبسم الثوري لما رأى الأوزاعي قد احتدّ.

من لم يحج لعدم قدرته يحج عن غيره:

وقال في الحج عن غيره: إن كان قادراً على أن يحج عن نفسه لم يجز أن يحج عن غيره، وإن لم يكن قادراً على أن يحج عن نفسه جاز أن يحج عن غيره، وأطلق أبو حنيفة ومالك.

هل كان الثوري يشرب النبيذ؟!

يقول حفص بن غياث: قال سفيان: من لم يشرب النبيذ، ولم يأكل الجَدْي، ولم يمسح على الخفين؛ فاتهموه على دينكم[1].

ويقول يعلى بن عبيد: قال سفيان: إني لآتي الدعوة وما أشتهي النبيذ فأشربه لكي يراني الناس[2].

ويقول الذهبي: قلت: مع جلالة سفيان كان يبيح النبيذ الذي كثيره مسكر[3].

ويقول عبد الرحمٰن بن مهدي: سُئل سفيان الثوري عن

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٠.

(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٩.

نبيذ السقاية، فقال: إن كان يسكر فلا تشربوه[1].

وكان إذا سئل سفيان عن النبيذ[2]، قال: كل عنباً، كل تيناً.

ويقول عبد الرحمٰن بن مهدي - مبرئاً شيخه سفيان من شرب النبيذ - أشهد لقد وصف له دواء، فقلت: نأتيك بنبيذ؟ فقال: لا، ائتني بعسل وماء.

وعند أهل الكوفة: الخمر المحرمة عندهم قليلها وكثيرها عصير العنب خاصة إذا غلا واشتد وقذف بالزبد، وخمر غير العنب لا يحرم إلا إذا أسكر. والحديث المتفق عليه «كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام».

علم سفيان

يشمل علم سفيان الثوري كل ما أحاط به من علم الحديث والفقه والكلام وغير ذلك مع شهادة كبار العلماء بعلمه وأنه حجة.

لا أعلم من سفيان:

قال عبد الله بن المبارك: لا أعلم على وجه الأرض أعلمَ من سفيان[3].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٧٢.
(٣) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٤.

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: ـ وذكر سفيان وشعبة ومالكاً ـ فقال: أعلمهم بالعلم سفيان[1].

وقال أيضاً عبد الرحمٰن بن مهدي: ما رأيت أعقل من مالك ولا أعلم من سفيان[2].

وقال سفيان بن عيينة: ما رأيت أحرص على العلم من سفيان الثوري، ولو يسأل: أي الناس أعلم؟ لقالوا: سفيان[3].

عالم الأمة وعابدها:

قال المثنى بن الصباح ـ وذكر سفيان الثوري ـ فقال: عالم الأمة وعابدها[4].

كان سفيان بحراً:

قال وكيع: كان سفيان بحراً[5] ـ أي في العلم كالبحر ـ.

سفيان حجة:

قال أبو أسامة: سفيان الثوري حجة[6].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٩.
(٣) تاريخ أبي زرعة ١/ ٥٧٩.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٧.
(٥) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٤.
(٦) حلية الأولياء ٦/ ٣٩٢.

سفيان أفضلهم:

قال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ ومئة شيخ هو أفضلهم[1].

وقال أيوب: ما رأيت كوفياً أفضله عليه[1].

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أفضل منه[1].

وسُئل وكيع: هل رأيت مثل سفيان؟ قال: لا، ولا رأى سفيان مثله[2].

وقال أبو أسامة: من أخبرك أنه نظر بعينه إلى مثل سفيان الثوري فلا تصدقه[3].

العلم بين عينيه:

قال بشر بن الحارث: كان سفيان الثوري كأن العلم بين عينيه يأخذ منه ما يريد، ويدع منه ما يريد[4].

علمه بالحساب:

يقول محمد بن مهران الجمال: كان بالري رجل يقال له حجاج، وكان ينزل الأزدان، وكان حاسباً، فقدم حجاج

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٠/ ١٣٤.

(٢) تاريخ أبي زرعة ١/ ٥٨.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٩.

(٤) وفيات الأعيان ٦/ ٣٨٦.

هذا على الثوري، فسأله عن مسألة في الحساب، فنظر إليه الثوري فقال: من أين أخذتَ هذه المسألة؟ فإن هذه المسألة لا يُحسنها إلا رجل بالري يقال له الحجاج، قال: أنا حجاج، قال: فرحَّب به. ثم ألقى عليه عشرَ مسائل من الحساب، وجعل الثوري يعد ويجيب فيها حجاج، فلما فرغ قال له الثوري: أخطأت فيها كلِّها[1].

ولعلّ إتقانه الحساب ـ إن صحت الرواية ـ إنما جاء من إتقانه علم الفرائض، وكان ينادي: من له مسألة في الفرائض فليأتني فإني عالم بها، والفرائض محتاجة إلى علم الحساب، فتوسع في الحساب حتى كان مقصوداً له.

(١) الجرح والتعديل ١/ ١٢٥ ـ ١٢٦.

سُفيَانُ الثَّوْرِيُّ الإمَام

من الإمام؟

قال أحمد بن حنبل: أتدري من الإمام؟ الإمام سفيان الثوري لا يتقدمه أحد في قلبي[1].

وقال بشر بن الحارث: كان سفيان الثوري عندي إمام الناس[2]. وقال: سفيان في زمانه كأبي بكر وعمر.

وقال الأوزاعي: لو قيل لي اختر لهذه الأمة ما اخترت إلا سفيان الثوري[3] ـ أي إماماً يقتدى به ـ.

الأئمة أربعة:

قال عبد الرحمٰن بن مهدي: أئمة الناس أربعة: الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، وحمّاد بن زيد بالبصرة، والأوزاعي بالشام[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٧.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٢.

(٤) عبر ١/ ٢٧٤.

مُسلَّم له في الإمامة:

في حلية الأولياء: كانت له النكت الرائقة، والنتف الفائقة، مسلم له في الإمامة، ومثبت له الرعاية، العلم حليفه، والزهد أليفه[١].

وقال الخطيب البغدادي: كان إماماً من أئمة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مجمعاً على إمامته، بحيث يستغنى عن تزكيته مع الإتقان والحفظ، والمعرفة والضبط، والورع والزهد[٢].

الثوري المجتهد

أحد الأئمة المجتهدين:

في وفيات الأعيان: سفيان أحد الأئمة المجتهدين، ويقال: إن الشيخ أبا القاسم الجنيد من أتباعه وعلى مذهبه[٣].

وقال النووي: وهو أحد المذاهب الستة المتبوعة[٤]: أبو حنيفة، والأوزاعي، ومالك، وسفيان الثوري،

---

(١) حلية الأولياء ٦/٣٥٦.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٢.
(٣) وفيات الأعيان ٢/٣٨٦.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات ١/ ٢٢٣.

والشافعي، وأحمد بن حنبل. رحمهم الله تعالى.

من عقيدته

عند الماتريدية والمرجئة: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، لأنه تصديق قلبي جازم كل الجزم، وعند الأشاعرة وغيرهم وعليه أكثر علماء الدنيا: الإيمان يزيد وينقص وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾[3].

يقول سفيان الثوري: خالفتنا المرجئة في ثلاث، نحن نقول: الإيمان قول وعمل، وهم يقولون: الإيمان قول بلا عمل. ونحن نقول: يزيد وينقص، وهم يقولون: لا يزيد ولا ينقص. ونحن نقول: نحن مؤمنون بالإقرار، وهم يقولون: نحن مؤمنون عند الله[4].

---

(١) آل عمران: ١٧٣.

(٢) الأنفال: ٢.

(٣) التوبة: ١٢٤.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٩.

ويقول سفيان: الصلاة والزكاة من الإيمان، والإيمان يزيد، والناس عندنا مؤمنون مسلمون، ولكن الإيمان متفاضل، وجبريل أفضل إيماناً منك[1].

وقال أبو نعيم: سمعت سفيان يقول: الإيمان يزيد وينقص[2].

وقال عبد الرزاق الصنعاني: سمعت مالكاً، والأوزاعي، وابن جريج، والثوري، ومعمراً يقولون: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص[3].

قال الحوشي: قلت للثوري: يا أبا عبد الله أمؤمن أنت؟ قال: إن شاء الله[4] ويأبى الأحناف والمرجئة أن يقول المؤمن: أنا مؤمن إن شاء الله.

ويقول سفيان: من كره أن يقول: أنا مؤمن إن شاء الله فهو عندنا مرجيء - يمد بها صوته[5] -.

حملة سفيان على المرجئة:

يقول سفيان: لقد تركت المرجئة هذا الدين أرقَّ من

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٣.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٢.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٩.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٣٢ - ٣٣.

السابري[1] ـ وهو ثوب رقيق ـ.

المرجئة أبعد من كتاب الله:

قال سفيان: ليس أحدٌ أبعدَ من كتاب الله من المرجئة[2].

لم يصل على جنازة مرجىء:

قال مؤمل بن إسماعيل: مات عبد العزيز بن رواد وكنت في جنازته حتى وضع عند باب الصفا فصف الناس، وجاء الثوري، فقال الناس: جاء الثوري، جاء الثوري، حتى خرق الصفوف والناس ينظرون إليه، فجاوز الجنازة ولم يصل عليه، لأنه كان يرمى بالإرجاء[3].

لا تصل خلف المرجئة:

وقال إبراهيم بن المغيرة ـ وكان شيخاً حجاجاً ـ: سألت سفيان: أأصلي خلف من يقول: الإيمان قول بلا عمل؟ قال: لا، ولا كرامة[4].

لا يستقيم قول إلا بعمل:

يقول سفيان: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٣.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٩.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٩.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٢٧.

وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنّة[1].

الجهمية كفار والقدرية كفار:

قال ابن المبارك: يقول الثوري: الجهمية كفار، والقدرية كفار. قلت لعبد الله بن المبارك: فما رأيك؟ قال: رأيي رأي سفيان[2].

أقول: رأيي بتكفير أمثال هؤلاء فيه الكثير من التجاوز، فهم مؤمنون بالله وحده وبرسوله ﷺ، فليس من المقبول تكفيرهم إلا إذا كانوا ينكرون معلوماً من الدين بالضرورة، وقد يكون سفيان قد سمع منهم ما يدعوه إلى تكفيرهم.

مسألة خلق القرآن:

تكلمنا في كتابنا: (الإمام أحمد) عن مسألة خلق القرآن باستفاضة. ونقول هنا: ليس هناك صحابي ولا تابعي ولا إمام من الأئمة ولا أحد من كبار علماء الشريعة إلا وهو يقول: القرآن كلام الله، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون. ومن كبار الأئمة سفيان الثوري إذ يقول: (من زعم أن ﴿قُل هو الله أحد﴾ مخلوق فقد كفر بالله عزّ وجلّ[3]، قال

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٢.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٨.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٠.

تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[1]).

آيات وأحاديث الصفات:

هناك رأيان في الصفات المشتبهة، فالسلف كلُّهم تقريباً يقولون: نؤمنُ بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تأويل ولا تمثيل، والخلَف ـ وهم علماء الكلام ـ خَشُوا إن لم يُؤوِّلوا أن يقعوا في التشبيه، فلذلك قيل لهم: المؤوِّلَة.

وكان السلف يقولون في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «ينزل ربكم إلى السماء الدنيا.. إلخ» يقولون: له نزول يليق به من غير تشبيه ولا تمثيل ﴿ليس كمثله شيء﴾، ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

والخلف يقولون مؤولين: تنزل رحمتُه أو علمه أو أمثال ذلك.

وسُئل سفيان الثوري عن أحاديث الصفات فقال: أمِرُّوها كما جاءت[2] ـ أي من غير تأويل ـ وهذا شعار السلف: أمِرُّوها كما جاءت.

أقول: وإنما تجنّب السلفُ التأويل خشية أن يبلغ من أوَّل بتأويله ما لم يرده ربنا تعالى لأنه لم يكن لهم أيُّ قرينة فيما

---

(١) النساء: ٨٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤.

يؤوِّلون إلا الخوفُ من التمثيل.

وسأل سفيان مَعْدانُ عن قوله تعالى: ﴿وهو مَعَكم أين ما كنتم﴾ [الحديد: ٤] فقال: علمُه[1]. وهنا أوَّل تأويلاً مقبولاً.

عقيدته في أفضل الصحابة وأحقهم بالخلافة:

عند أهل السنة جميعهم، وعند قدماء المعتزلة ترتيب الخلفاء الراشدين ـ وهم من أجلاء الصحابة ـ بالفضل والمنزلة والمزية: أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب. رضي الله تعالى عنهم.

وكان رأي سفيان الثوري هو رأيَ الكوفيين ـ يفضل علياً على أبي بكر وعمر، فلما صار إلى البصرة رجع عنها، وهو يفضل أبا بكر وعمر على عليٍّ، ويفضل علياً على عثمان[2].

وكان سفيان ينكر على من يقدم على أبي بكر وعمر أحداً من الصحابة، إلا أنه يقدم علياً على عثمان[3].

وعن زيد بن الحباب قال: خرج سفيان إلى أيوب وابن عون فترك التشيع[3] ـ أي ترك تفضيل عليٍّ على أبي بكر وعمر، ثم ترك تفضيل عليٍّ على عثمان ـ لذلك قال سفيان

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٤.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٢.

بعد ذلك: من قال: عليٌّ أحق بالولاية من أبي بكر وعمر، فقد خطّأ أبا بكر وعمر وعلياً والمهاجرين والأنصار، ولا أدري أيرتفع له عمل إلى السماء أم لا[1]؟!.

ويقول سفيان: لا يجتمع حب علي وعثمان إلا في قلوب نبلاء الرجال[2].

يقول الفريابي سمعت سفيان ورجل يسأله عمن يشتم أبا بكر؟ فقال: كافر بالله العظيم، قال: نصلي عليه؟ قال: لا، ولا كرامة[3].

الإسلام والإيمان سواء:

عن سفيان الثوري قال: الإسلام والإيمان سواء ثم قرأ: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾[4] وهذا رأي كثير من العلماء والمحدثين ومنهم البخاري.

عِبَادَتُه

العالم الحق في شرع الله هو العامل بعلمه، وأول العمل

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٣.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٤.

الاستعصام بالتقوى، والتقوى تدنيه من طاعة الله ورسوله، وتصده عن مخالفة الله ورسوله، وتحبب إليه عبادة الله تعالى وتزين له الورع والزهد، وتهديه إلى البر والخير وصدق النيّة والإخلاص لله تعالى في القول والعمل.

والإمام سفيان الثوري من الأئمة العلماء العاملين المتعبدين الذين تمثلت فيهم هذه الخصال كلها. ولنتكلم على عبادته.

سجد من المغرب إلى العشاء:

قال ابن وهب: رأيت الثوري في الحرم بعد المغرب صلّى، ثم سجد سجدة فلم يرفع رأسه حتى نودي بالعشاء[1].

وقال علي بن الفضل: رأيت الثوري ساجداً فطفت سبعة أسابيع قبل أن يرفع رأسه[2].

قيامه في الليل:

قال يحيى بن يمان: رأيت سفيان يخرج ويدور بالليل، وينضح في عينيه الماء حتى يذهب عنه النعَاس[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٥٩.

وقال عبد الرزاق: لما قدم سفيان علينا طبخت له قدر سكباج[1] فأكل، ثم أتيته بزبيب الطائف فأكل، ثم قال: يا عبد الرزاق، اعلف الحمار وكده، ثم قام يصلي حتى الصباح[2].

وقال أبو يزيد المعنى: كان إذا أصبح مد رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل[3].

وقال محمد بن يوسف: كان سفيان يقيمنا بالليل يقول: قوموا يا شباب صلوا ما دمتم شباباً[4].

بكاؤه في صلاته:

عن عبد الرحمٰن بن مهدي: كنت لا أستطيع سماع قراءة سفيان من كثرة بكائه[5].

يتعبد قبل العلم عشرين سنة:

يقول سفيان: كان الرجل إذا أراد أن يطلب العلم تعبد

---

(١) السكباج: لحم يطبخ بخل.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٩٥.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٩٦.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧.

قبل ذلك عشرين سنة[1].

سفيان أشبه بالتابعين:

قال ابن أبي ذئب: ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان[2] ـ أي بعبادته وزهده وورعه ـ.

أفقه الناس وأعبدهم وأزهدهم:

قال أحمد بن يونس: سمعت زائدة يقول: كان سفيان أفقه أهل الدنيا وأعبد الناس وأزهد الناس[3].

قراءته للقرآن

أخذ القرآن عرضاً:

وأخذ سفيان الختمة عرضاً على حمزة الزيات ـ أحد القرّاء السبعة ـ أربع مرات[4].

أفضل الذكر قراءة القرآن:

يقول سفيان: أفضل الذكر تلاوة القرآن في الصلاة، ثم تلاوة القرآن في غير الصلاة، ثم الصوم، ثم الذكر[5].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩٥.
(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٤،
(٣) تاريخ أبي زرعة ١/ ٥٧٩.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٤.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٦٧.

وعن أبي خالد قال: صحبت سفيان في طريق مكة، فكان يقرأ في المصحف كل يوم، فإذا لم يقرأ فيه فتحه فنظر فيه وأطبقه[1].

وقال عبد الرزاق: كان الثوري جعل على نفسه لكل ليلة جزءاً من القرآن وجزءاً من الحديث قال: فيقرأ جزءاً من الحديث ثم ينام[2].

بكى في الصلاة بقراءة الفاتحة:

قال مزاحم: صلّى بنا سفيان المغرب فقرأ حتى بلغ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ بكى حتى انقطعت قراءته ثم عاد فقرأ: ﴿الحمد لله﴾[3].

وَرعه

الورع ترك المشتبه من الأموال والأطعمة والأشربة والألبسة والمأوى مهما تكثر الحاجة إليها، وأما ترك الحرام الصريح من كل ذلك فهو فرض. وفي الحديث الصحيح: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٨٦.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١١٦.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ١٧.

وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام. . إلخ».

ومن المتورعين من يخفف من الحلال خشية الوقوع في المشتبه الذي قد يجر إلى الحرام، وقد بالغ بعضهم في ترك الحلال ورعاً فعُجِّلت إليهم الهلكة.

وكان سفيان من أكثر علماء عصره ورعاً، فإذا أُتيح له المال الحلال والطعام الحلال أنفق وأكل، وإن لم يأته الحلال الصرف أو أتاه ما فيه شبهة صبر وانتصر على نفسه ولو لبث أياماً بغير طعام.

لولا سفيان لمات الورع:

يقول قتيبة بن سعيد: لولا سفيان الثوري لمات الورع[1].

ساد بالورع والعلم:

قال شعبة: إن سفيان ساد الناس بالورع والعلم[2].

لا يستضيء بنار صاحب الشرطة:

قال أبو شهاب: كنت ليلة مع سفيان فرأى ناراً من بعيد، فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة. فقال: اذهب بنا في طريق آخر، لا نستضيء بنارهم، أو قال: بنورهم[3].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٠.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٢.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٤٠.

من إمامك في الورع؟

قيل للفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع: من إمامُك في هذا؟ قال: سفيان الثوري[1].

ترك ديناره ورعاً:

جاء سفيان الثوري إلى صيرفيّ بمكة يشتري منه دراهم بدينار، فأعطاه الدينار، وكان معه آخَر فسقط من سفيان فطلبه، فإذا إلى جانبه دينار آخر، فقال له الصيرفي: خذ دينارك، قال: ما أعرفه، قال: خذ الناقص، قال: فلعله الزائد، وتركه ومضى[2].

من عليه دين أيأكل اللحم؟

سُئل سفيان الثوري عن رجل عليه دين أيأكل اللحم؟ قال: لا[3].

من ورع سفيان:

قال مبارك بن سعيد: جاء رجل إلى سفيان ببدرة ـ أو قال ببدرتين ـ وكان أبو ذلك الرجل صديقاً لسفيان جداً، وكان سفيان يأتيه فيقيل عنده، ويأتيه كثيراً، قال: فقال:

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٠.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٧.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ١٩.

يا أبا عبد الله في نفسك من أبي شيء؟ فأثنى عليه وقال: رحم الله أباك، وذكر من فضله، فقال له: يا أبا عبد الله قد عرفت كيف صار إليَّ هذا المال، وأنا أحب أن تقبل هذا الذي جئتك به تستعين به على عيالك، قال: فقبله مني، فخرج الرجل، فلما خرج أو كاد أن يخرج، قال لي: يا مبارك الحقه فرده، قال: فلحقته فرددته، فقال: يا ابن أخي أحب أن تقبل هذا المال، فإني قد قبلته منك ولكن أحب أن تأخذه فترجع به، فقال: يا أبا عبد الله، في نفسك منه شيء؟ قال: لا، ولكن أحب أن تقبله، فلم يزل به حتى أخذه، فلما خرج جئت وقد داخلني ما لا أملك، فقعدت بين يديه فقلت: ويحك يا أخي، إيش قلبك هذا؟ حجارة؟ أنت ليس لك عيال، أما ترحمني، أما ترحم إخوانك؟ أما ترحم صبياننا، قال: فأكثرت عليه من هذا النحو، فقال: يا مبارك تأكلها أنت هنيئاً مريئاً وأُسأل أنا عنها؟ لا يكون هذا أبداً[1].

زُهْـدُه

الزهد هو القدرة الهائلة على إباء العبودية والخنوع لأعظم محبوب للإنسان وهو المال الذي في سبيله تدق أعناق عظماء الرجال.

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٦١.

وليس من الزهد أن يمنع المرء نفسه أطيب الطعام، ولا ألَذ الشراب، ولا أن يدع النفيس من الثياب، ولا أن يتجنب أرفه المراكب، ولا أن يترك سكنى أجمل الدور، إنما الزهد أن تكون بطاعة الله فيما أعطاك، وبكامل الرضا فيما منعك.

ومن بالغ في الزهد، وترك الأسباب في تحصيل ما هو أشد الحاجة إليه من دنياه في حدود شرع الله ـ كان في أرهف استعداد لمغريات الدنيا ولو بذل في سبيل ذلك دينه وشرفه ومروءته.

أيكون زاهداً وله مال؟

قيل لسفيان الثوري: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم، إن كان إذا ابتُلي صبر، وإذا أُعْطي شكر[1].

الزهد قصر الأمل:

قال سفيان: ليس الزهد في الدنيا بأكل الجشب ولبس الخشن، وإنما الزهد قصر الأمل[2].

لم أنهكم عن الأكل:

قال وكيع: ورؤي سفيان يأكل الطباهج وقال: إني لم

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٦.

أنهكم عن الأكل، ولكن انظر من أين تأكل، وارتحل وانظر على من تدخل، وتكلم وانظر كيف تتكلم، وكيف أنهاكم عن الأكل والله تعالى يقول ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا﴾[1].

اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها:

عن عبد الرحمٰن البصري قال: قال رجل لسفيان: أوصني، فقال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، واعمل للآخرة بقدر دوامك فيها. والسلام[2].

خذ من الدنيا لبدنك، ومن الآخرة لقلبك:

قال بشر بن الحارث: قال سفيان الثوري لبكر العابد: يا بكر خذ من الدنيا لبدنك، ومن الآخرة لقلبك، قال بشر: يعني لبدنك ما لا بدّ منه، ولقلبك، أي اشغل قلبك بذكر الآخرة[3].

الزهد يبصرك عورات الدنيا:

قال سفيان: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك[3].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٧٠.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٨٧.

(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٠.

الزهد أفضل الأعمال:

يقول يوسف بن أسباط: سمعت سفيان الثوري يقول: أفضل الأعمال الزهد في الدنيا[1].

أتعب سفيان القرّاء بعده:

يقول يحيى بن يمان: أتعب سفيان القرّاء - وهم الفقهاء والعلماء - بعده. ولا رأينا مثل سفيان ولا رأى سفيان مثله، أقبلت عليه الدنيا فانصرف بوجهه عنها[2].

تمتلىء قلوبهم بحب الدنيا:

يقول سفيان: بلغني أنه يأتي على الناس زمان تمتلىء قلوبهم من حب الدنيا، فلا تدخله الخشية، قال سفيان: وأنت تعرف ذلك إذا ملأت جراباً من شيء حتى يمتلىء فأردت أن تدخل فيه غيره لم تجد لذلك من خلاء[3].

حب الدنيا ينزع الخوف من الآخرة:

يقول سفيان: من أحبَّ الدنيا وسُرَّ بها نُزع خوفُ الآخرة من قلبه[4].

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٨٦.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٦٨.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣٨.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٧٩.

الزهد في الرئاسة:

يقول الثوري: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب فإذا نوزع في الرئاسة حامى عليها وعادى[1].

أنا أميركم:

يقول يوسف بن أسباط: أراد سليمان الخواص أن يركب البحر، فقالوا له: لا بدّ لنا من أمير، فقال: أنا أميركم، فبلغ ذلك سفيان الثوري فكتب إليه: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الدنيا، فلما قرأ الكتاب قال: لست لكم بأمير[2].

احذر حب المنزلة:

كتب سفيان إلى أخ له: واحذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا[3].

الزهد في الناس:

قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول الزهد في الناس زهدك في نفسك[4].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٩.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٨٩.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٦٩.

الزهد زهدان فريضة ونافلة:

قال سفيان: الزهد زهدان زهد فريضة، وزهد نافلة، فالفرض أن تدع الفخر والكبر والعلو والرياء، والسمعة، والتزين للناس. وأمّا زهد النافلة فأن تدع ما أعطاك الله من الحلال، فإذا تركت شيئاً من ذلك صار فريضة عليك ألا تتركه إلا لله[1].

أقول: إذا ثبت أنه حلال فلا تدعه وأنفق منه على نفسك وعيالك فلا أنفع في الدنيا والآخرة من المال الحلال.

الدنيا دنية والمال يميل بأهله:

يقول معاوية بن هشام: سمعت سفيان الثوري يقول: إنما سميت الدنيا لأنها دنيه وسُمي المال لأنه يميل بأهله[2].

العالم طبيب الدين:

يقول سفيان: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا جذب الطبيب الداء إلى نفسه فمتى يداوي غيره[3].

سفيان وبنت أم حسّان الزاهدة:

عن سفيان الثوري قال: دخلت على بنت أم حسّان

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ١٠.

(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٩.

الأسدية، وفي جبهتها مثل ركية العنز من أثر السجود، وليس به خفاء، فقلت لها: يا بنت أم حسّان ألا تأتين عبد الله بن شهاب، فرفعت إليه رقعة لعلّه يعطيك من زكاة ماله ما تغيرين به بعض الحالة التي أراها بك، فدعت بمعجر لها فاعتجرت به، فقالت: يا سفيان لقد كان لك في قلبي رجحان كثير، فقد ذهب الله برجحانك من قلبي.

يا سفيان تأمرني أن أسأل الدنيا من لا يملكها؟ وعزته وجلاله إني أستحيي أن أسأله الدنيا وهو يملكها.

قال سفيان: وكان إذا جَنَّ الليل عليها دخلت محراباً لها وأغلقت عليها، ثم نادت إلّهي، خلا كل حبيب بحبيبه، وأنا خالية بك يا محبوب، فما كان من سجن تسجن به من عصاك إلا جهنم، ولا عذاب إلا النار. قال سفيان: فدخلت عليها بعد ثلاث، فإذا الجوع قد أثر في وجهها، فقلت لها: يا بنت أم حسّان إنك لن تؤْتي أكثر مما أوتي موسى والخضر عليهما السلام إذ أتيا أهل القرية استطعما أهلها، فقالت: يا سفيان قل الحمد لله، فقلت: الحمد لله، فقالت: اعترفت له بالشكر؟ قلت: نعم، قالت: وجب عليك من معرفة الشكر شكر، وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضي أبداً، قال سفيان: فقصر والله علمي وفسد لساني، وما أقوم بشكر كلما اعترفت له بنعمة وجب عليّ بمعرفة النعمة شكر،

وبمعرفة الشكرين شكر، فوليت وأنا أُريد الخروج فقالت: يا سفيان، كفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها في الله هماً واحداً، قال سفيان: فقصرت ـ والله ـ إليَّ نفسي[1].

الدرهم الحلال

أكثر ما كان يهتم السلف الصالح بالمال الحلال، والمال الحلال هو لب التقوى وقد قال بعضهم: (أطب مطعمك ولا عليك أن تقوم الليل وتصوم النهار) ومعنى أطب مطعمك: ليكن حلالاً.

عمل الأبطال كسب الحلال:

قال أبو الأحوص سلاّم بن سليم: قال لي سفيان الثوري: (عليك بعمل الأبطال الكسب من الحلال والإنفاق على العيال)[2].

اطلب الدرهم الحلال وصل في الصف الأخير:

يقول سفيان الثوري: انظر درهمك من أين هو؟ وصل في

(١) حلية الأولياء ٧/ ٩ ـ ١٠.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨١.

الصف الأخير(١).

الحلال لا يحتمل السرق:

وكان سفيان الثوري يقول: الحلال لا يحتمل السرق(٢).

عز الفقر وذلة الغِنَى:

قال محمد بن عبد الوهاب: ما رأيت الفقر قطُّ أعزَّ ولا أرفعَ منه في مجلس سفيان، ولا رأيت الغِنى أذلَّ منه في مجلس سفيان(٣).

المال ترس المؤمن:

قال داود بن الجراح: سمعت سفيان الثوري يقول: كان المال فيما مضى يكره، فأما اليوم فهو تُرس المؤمن(٤).

إذا كان لك بُرٌّ فتعبد:

قال عبد الملك الأشجعي: كان سفيان يقول: إذا كان لك بُرٌّ ـ قمح ـ فتعبَّد، وإذا لم يكن لك فالتمسه ـ يعني من الحلال(٥). ويقول: يعجبني أن يكون صاحب الحديث

---

(١) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٧.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦١ ـ ١٦٢.

(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٨١.

(٥) الجرح والتعديل ١/ ١٠٢.

مكفياً، فإن الآفات إليه أسرع، وألْسِنَة الناس إليهم أسرع[1].

تفكره في الآخرة

طول تفكره:

عن يوسف بن أسباط قال: قال لي سفيان بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ، فأخذها بيمينه، ووضع يساره على خده فبقي مفكراً ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي، فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة[2].

من طول تفكره يبول دماً:

وقال يوسف بن أسباط: كان سفيان يبول الدم من طول حزنه وفكرته[3].

من طول تفكره يحسبه الناظر مجنوناً:

محمد بن عصام سمعت أبي يقول: ربما كان سفيان يأخذ في التفكر فينظر إليه الناظر فيقول مجنون[4].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠ ـ ٢٤١.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٧.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ٩١.

ذِكْره للمَوْت

يكثر ذكر الموت:

قال قبيصة: ما جلست مع سفيان مجلساً إلا ذكر الموت، ما رأيت أحداً كان أكثر ذكراً للموت منه[1].

ما أشد الموت:

وقال أبو خالد الأحمر: كان سفيان يتمنى الموت فلما نزل به قال: ما أشده[2].

ما أدري ما أدري:

قال أبو نعيم: كان سفيان إذا ذكر الموت مكث أياماً لا ينتفع به، فإذا سئل عن شيء قال: ما أدري ما أدري[2].

خوفه الشديد من النار ومن الشقاء

قال الذهبي: قلت: قد كان لحق سفيان الثوري خوف مزعج إلى الغاية.

خوفه من النار:

يقول عبد الرحمٰن بن مهدي: ما عاشرت في الناس رجلاً

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٠.

(٢) الجرح والتعديل ١/ ٨٥.

أرق من سفيان الثوري وكنت أرمقه في الليلة بعد الليلة ينهض مذعوراً ينادي: النارُ النار. شغلني ذكر النار عن النوم والشهوات[1].

خرج فاراً على وجهه:

قال أبو زيد عثير: قرأ سفيان ليلة: ﴿إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ فخرج فاراً على وجهه حتى لحقوه، واجتمعت بنو ثور على سفيان وهو شاب يناشدونه مما كان فيه من العبادة أي أقصر عن هذا[2].

لا أحد أخوف لله من سفيان:

قال أبو أُسامة: ما رأيت أحداً أخوف لله من سفيان[3].

خوفه أن يكون شقياً:

قال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان إلا باكياً، فقلت: ما شأنك؟ قال: أتخوف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيا[4].

كأنما وُقِّف للحساب من خوفه:

قال ابن مهدي: كنا نكون عنده فكأنما وُقِّف للحساب.

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٧.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٦٠.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٩٢.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٦.

وسمعه عثام بن علي يقول: لقد خفت الله خوفاً، عجباً لي كيف لا أموت، ولكن لي أجل، وددت أنه خفف عني من الخوف. أخاف أن يذهب عقلي[1].

واحزناه:

وقال يوماً عند رابعة العدوية سفيان: واحزناه، فقالت: لا تكذب، بل قل: واقِلَّةَ حُزناه، لو كنتَ محزونا لم يتهيأ لك أن تتنفس[2].

أمرُه بالمعرُوف ونَهيُهُ عَنِ المُنكر

العالم العامل من أهم واجب علمه وعمله أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو كالزهرة الطيبة لا تملك أن تكتم أريجها، فإذا رأى ما يقتضي الأمر بالمعروف أمر به، مهما يكن المأمور به بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا رأى منكراً لا يصبر عن إزالته بيده إن استطاع، أو بنهيه عنه بلسانه وموعظته.

أما أولئك الذين يبررون أخطاء الأمراء والأغنياء رجاء دنياهم أو التقرب إليهم فما أولئك بالعلماء العاملين ولا الآمرين ولا الناهين، وأولى لهم إن لم يستطيعوا أن يأمروا بالمعروف أو ينهوا عن المنكر أن يبعدوا عن هؤلاء وهؤلاء.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٦.

(٢) وفيات الأعيان ٢/ ٢٨٥.

وهذا أضعف الإيمان. أما الإمام سفيان فما كان يبالي في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ملكاً ولا سوقة، ولا أميراً ولا أجيراً ولا كبيراً ولا صغيراً، ولا قريباً ولا بعيداً.

لا يفتر لسانه عن الأمر والنهي:

قال شجاع بن الوليد: كنت أحُج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً وراجعاً[1].

كان أصفق وجهاً في الله تعالى:

قال يحيى بن أبي غنية: ما رأيت أصفق وجهاً ـ أي أقل حياءً في الأمر والنهي ـ في الله عزّ وجلّ من سفيان الثوري[2].

حين يرى المنكر فلا يتكلم:

قال يحيى بن يمان: سمعت سفيان يقول: إني لأرى المنكر فلا أتكلم فأبول دماً[3].

تأخر عن الصف الأول:

يقول الثوري للغلام؛ إذا رآه في الصف الأول:

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٣.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١٠٨.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٩.

احتلمت[1]؟ فإن قال: لا، قال: تأخر.

لا يأمر السلطان إلا عالم بما يأمر:

قال سفيان الثوري: لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر، عالم فيما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى، عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى[2].

وعظه أمير مكة بتقوى الله:

قال إبراهيم بن أعين: كنت مع سفيان والأوزاعي، فدخل علينا عبد الصمد بن علي ـ وهو أمير مكة ـ وسفيان يتوضأ، وأنا أصب عليه، كأنه بطأه، وهو يقول: لا تنظروا إليّ، أنا مبتلىً ـ أي موسوس في الوضوء ـ فجاء عبد الصمد، فسلّم، فقال له سفيان: من أنت؟ فقال: أنا عبد الصمد، فقال: كيف أنت؟ اتق الله، اتق الله، وإذا كبرت فأسمع[3].

خوفُه مِنَ البِدَع

البدعة:

البدعة كل أمر محدث في دين الله ليس له أثر ما في

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٠.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٩.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٩.

السنّة، وقد كثرت البدع في هذا العصر كثرة تكاد تزيد على ما ورد في السنة أضعافاً. والغريب أن يزين بعض أهل العلم البدعة للعامة بل يأمرهم بها يرى أن فيها زلفى من الله سبحانه، مع أنهم ربما علموا أن رسول الله ﷺ قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ» أي مردود. رواه البخاري ومسلم. وقال من حديث آخر: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وكان سفيان الثوري وأكثر السلف يكرهون البدع ويخشون كل الخشية من أن تدخل عليهم بدعة ما وهم لا يشعرون.

البدعة أحب إلى إبليس من المعصية:

يقول سفيان: البدعة لا يتاب منها. ويقول: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، المعصية يتاب منها، والبدعة لا يتاب منها[1].

خرج من عصمة الله:

ويقول سفيان: من أصغى سمعه إلى صاحب بدعة فقد خرج من عصمة الله تعالى[1].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٦.

لا تصل خلفه:

يقول بشر بن منصور: سمعت سفيان الثوري يقول: ـ وسأله رجل فقال: على بابي مسجد إمامه صاحب بدعة، قال: لا تصل خلفه، قال: تكون الليلة المطيرة وأنا شيخ كبير قال: لا تصل خلفه[1].

لا يحكي البدعة لجلسائه:

قال سفيان الثوري: من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه لا يُلْقِها في قلوبهم[2].

وما يدريني لعلي أدخل في بدعة:

قال حمّاد بن سلمة: كان سفيان عندنا بالبصرة، وكان كثيراً يقول: ليتني قد متّ ليتني قد استرحت، ليتني في قبري، فقال له حمّاد بن سلمة: يا أبا عبد الله ما كثرة تمنيك للموت؟ والله لقد آتاك الله القرآن والعلم، فقال سفيان: يا أبا سلمة، وما يدريني لعلي أدخل في بدعة، لعلي أدخل فيما لا يحل لي، لعلي أدخل في فتنة، أكون قد مت فسبقت هذا.

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٨.

(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٤.

ثَناء كِبَار العُلماء عَليه

من الحفاظ والفقهاء المتقنين مع الورع:

كان رحمه الله من الحفاظ المتقنين، والفقهاء في الدين، ممن لزم الحديث والفقه، وواظب على الورع والعبادة، ولم يبال بما فاته من حطام هذه الفانية الزائلة، حتى صار علماً يرجع إليه في الأمصار، وملجأ يقتدى به في الأقطار[١].

أيّما أفقه عندكم؟

حدث وكيع عن شعبة عن الحكم ـ وحمّاد في باب ـ ثم قال: أيما أفقه عندكم الحكم وحمّاد أو سفيان؟ فسكت الناس، فلم يجبه أحد، فقال: كان سفيان بحراً[٢].

أعلمهم بالعلم سفيان:

قال ابن راهويه: سمعت عبد الرحمٰن بن مهدي ذكر سفيان وشعبة ومالكاً وابن المبارك فقال: أعلمهم بالعلم سفيان[٣].

زين الفقهاء وسيد العلماء:

يقول إسماعيل الزاهد ـ وذكر الثوري ـ فقال: رحم الله أبا

---

(١) مشاهير علماء الأمصار: ١٧٠.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٥٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.

عبد الله، يا زين الفقهاء، يا سيد العلماء، يا قرير العيون، تبكي العيون لفقدك على واصل الأرحام في زمانهم، ثم قال: أُصيب المسلمون بعمر بن الخطاب، وأصبنا بأبي عبد الله في زماننا[1].

كان محدثاً وفقيهاً:

قال ابن المبارك: كنت إذا شئت رأيت سفيان مصلياً، وإذا شئت رأيته محدثاً، وإن شئت رأيته في غامض الفقه. ومجلس آخر شهدته ما صُلِّي فيه على النبي ﷺ - يعني مجلس النعمان -[2].

أقول: حاشا أن يخلو مجلس أبي حنيفة رحمه الله من الصلاة والسلام على النبي ﷺ إلا أن يكون في مجلس فقه يبحث فيه عن العلة والقياس والاستحسان وما إلى ذلك.

الأوزاعي يختار الثوري:

يقول الأوزاعي: لو قيل لي: اختر رجلاً يقوم بكتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ لاخترت لهما الثوري[3].

وقال الأوزاعي: لم يبق من يجتمع عليه العامة بالرضى

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٢) تاريخ البخاري ٤/ ٩٢.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٨.

والصحة إلا ما كان من رجل واحد بالكوفة ـ يعني سفيان الثوري ـ[1].

إمام الحفاظ وسيِّد العلماء العاملين:

يقول الذهبي: هو شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري الكوفي المجتهد[2].

وقال عباس بن محمد: رأيت يحيى بن معين لا يقدم على سفيان في زمانه أحداً في الفقه والحديث والزهد، وكل شيء[3].

سيد المسلمين:

قال أبو أُسامة: كان زائدة يرى الثوري سيد المسلمين[4].

سفيان حجة من الله على خلقه:

عن شعيب بن حرب قال: إني لأحسب أنه يجاء غداً بسفيان حجة من الله على خلقه يقول لهم: لم تدركوا نبيَّكم، قد رأيتم سفيان[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٠.
(٣) تاريخ بغداد، ٩/ ١٦٩.
(٤) الجرح والتعديل ١/ ١١٨.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٩.

ويقول يوسف بن أسباط: إني لأرى أهل زمان سفيان سيعاتبون، فيقال: ألم يكن فيكم مثل سفيان[1].

سفيان أشبه بالتابعين:

عن ابن أبي ذئب قال: ما رأيت أشبه بالتابعين من سفيان الثوري[2].

وقال أبو يحيى الحماني: سمعت أبا حنيفة يقول: لو كان سفيان الثوري في التابعين لكان فيهم له شأن[3].

وقال عبد الرحمٰن بن الحكم: ما سمعت بعد التابعين بمثل سفيان[4].

ليس في بلده وعصره مثله:

يقول أبو أسامة: من أخبرك أنه نظر بعينه إلى مثل سفيان فلا تصدقه[5].

وقال ابن أبي ذئب: ما رأيت بالعراق أحداً يشبه ثوريكم[6].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٨.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٩.

(٤) الجرح والتعديل ١/ ٥٧.

(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٥٩.

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٠٤.

وقال ابن المبارك: اطلبْ لسفيان قِرناً ولن تجده[1].

وقال أيوب السختياني: ما قدم علينا من الكوفة أفضلُ من سفيان الثوري[2].

وقال الفزاري لابن المبارك: يا أبا عبد الرحمٰن، رأيت قط مثل سفيان الثوري؟ قال: لا، قال ابن المبارك: فأنت يا أبا إسحاق رأيت مثله قط؟ قال: لا[3].

وكان يحيى بن سعيد لا يعدِل بسفيان الثوري أحداً[4].

وقال يونس بن عبيد: ما رأيت أفضل من سفيان الثوري، فقال له رجل: يا أبا عبد الله رأيت سعيد بن جبير، وإبراهيم، وعطاء، ومجاهد، وتقول: هذا؟ قال: هو ما أقول، ما رأيت أفضل من سفيان الثوري[5].

وقال ابن عيينة: جالست خمسين شيخاً من أهل المدينة، وذكر عبد الرحمٰن بن القاسم، وصفوان بن سليم، وزيد بن أسلم، فما رأيت فيهم مثل سفيان[6].

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٦ ـ ١٥٧.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٥.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٥) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٥.
(٦) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٢.

وقال ابن المبارك: ما رأيت مثل سفيان كأنه خلق لهذا الشأن[1].

وقال عثمان بن زائدة: ما رأيت مثل سفيان قط، بسفيان أقتدي، وعليه أبكي[2].

وقال أحمد بن عبد الله بن يونس: كان يقال: الناس ثلاثة: ابن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والثوري في زمانه[3].

يقول وكيع بن الجراح: ما رأت عيناي مثل سفيان الثوري، ولا رأى سفيان مثله[4].

لِمَ لمْ أطرح نفسي بين يدي سفيان:

عن عبد الله بن المبارك: أنه كان يتأسف على سفيان ويقول: لِمَ لمْ أطرح نفسي بين يدي سفيان، ما كنت أصنع بفلان وفلان[4].

مَنَّ الله على المسلمين بسفيان:

ويقول عبد الكبير بن المعافى بن عمران سمعت أبي

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٥٦.

(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٦١.

(٣) الجرح والتعديل ١/ ١١٩.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٥٦.

يقول: لقد منَّ الله على أهل الإسلام بسفيان الثوري[1].

استوى الناس:

ويقول الأوزاعي: إذا مات ابن عون وسفيان الثوري استوى الناس[2].

كان صحيح الأديم بعيداً عن الأهواء:

ويقول عبد الرحمٰن بن مصعب: برز سفيان الثوري على الناس لأنه كان صحيح الأديم بعيداً عن الأهواء، عابداً، يقول الحق ويريده إن شاء الله[3].

كان رأساً في الزهد والحفظ والفقه إلخ:

قال الذهبي: قد كان سفيان رأساً في الزهد، والتأله، والخوف، رأساً في الحفظ، رأساً في معرفة الآثار، رأساً في الفقه، لا يخاف في الله لومة لائم، من أئمة الدين، واغتفر له مسائل اجتهد فيها، وفيه تشيع يسير، كان يثلث بعلي، وهو على مذهب بلده أيضاً في النبيذ، ويقال: رجع عن كلِ ذلك، وكان ينكر على الملوك، ولا يرى الخروج أصلاً، وكان يدلِّس في روايته، وربما دلّس عن الضعفاء، وكان

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٣٦.
(٣) الجرح والتعديل ١/ ٩٥.

سفيان بن عيينة يدلِّس، لكن ما عرف له تدليس عن ضعيف[1].

مِن حِكَمِه وأقوالِه

إنما يراد العلم للعمل:

يقول عبد الله بن المبارك: سُئل سفيان الثوري: طلب العلم أحب إليك أو العمل؟ فقال: إنما يراد العلم للعمل، لا تدع طلب العلم للعمل، ولا تدع العمل لطلب العلم[2].

ويقول سفيان: إنما يطلب العلم لِيُتَّقَىٰ الله به، فمن ثَم فُضِّل، فلولا ذلك لكان كسائر الأشياء[3].

أول العلم الصمت:

يقول سفيان الثوري: كان يقال: أول العلم الصمت، والثاني الاستماع له وحفظه، والثالث العمل به، والرابع نشره وتعليمه[3].

طلب العلم بنية:

وعن سفيان قال: ما نعلم شيئاً أفضل من طلب العلم

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١ ـ ٢٤٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ١٢.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٢.

بنية[1] ـ أي بنية التقرب به من الله تعالى ـ.

إنما العلم بالآثار:

عن سفيان قال: إنما العلم بالآثار[2] ـ أي باطلاعه المتين على الأحاديث النبوية ومعرفة صحيحها وحسنها وضعيفها ـ وقال سفيان في الحديث: ما يعدله شيء لمن أراد به الله تعالى[3]. وقال: استوصوا بأهل السنّة خيراً فإنهم غرباء[3] .

الرجل أحوج إلى العلم منه إلى الخبز واللحم:

ويقول سفيان: الرجل إلى العلم أحوج منه إلى الخبز واللحم[4] ـ لأن بالطعام غذاءَ جسمه، وبالعلم غذاء روحه ـ

الترؤس يضر بكثير من العلم:

قال سفيان الثوري: إذا ترأس الرجل سريعاً أضر بكثير من العلم، وإذا طلب بلغ[5].

العابد الجاهل والعالم الفاجر:

وقال سفيان: كان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل،

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٥٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٦٥.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٨١.

والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون[1].

العالم الكامل والعالم الفاجر:

قال الفريابي: قال سفيان: العلماء ثلاثة: عالم بالله عزّ وجلّ، عالم بأمره، فذلك العالم الكامل، وعالم بأمر الله عزّ وجلّ، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله عزّ وجلّ فذلك العالم الفاجر[1].

العلم لا يصلح إلا بالزهد:

عن بكر العابد قال ـ قال سفيان: إن القراءة لا تصلح إلا بالزهد بالدنيا فازهد، ونم، وصلِّ الخمس[2]. ـ والزهد أن يعمل ويكف وجهه ولا يكون عالة على غيره ـ ويقول سفيان: لا خير في القارىء ـ أي طالب العلم ـ يعظم أهل الدنيا[3].

اعملوا ولا تكونوا عالة:

يقول سفيان: قدمت البصرة فجلست إلى يوسف بن عبيد، فإذا فتيان، كأن على رؤوسهم الطيرَ، فقلت: يا معشر القرّاء، ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق، واعملوا ولا

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩٢.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ٩٣.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٤٦.

تكونوا عالة على الناس، فرفع يوسف رأسه إليهم فقال: قوموا فلا أعلمن أحداً منكم جالسني حتى يكسب معاشه من وجهه، فتفرقوا. قال سفيان: فوالله ما رأيتهم عنده بعده[1].

ينبغي إكراه الولد على العلم:

وعن سفيان قال: ينبغي للرجل أن يكره ولده على العلم، فإنه مسؤول عنه[2].

الشيخ الجاهل:

كان سفيان الثوري إذا لقي شيخاً سأله: هل سمعت من العلم شيئاً؟ فإن قال: لا، قال: لا جزاك الله عن الإسلام خيراً[3].

ليس أفضل من العلم:

قال سفيان الثوري: ليس عمل بعد الفرائض أفضل من طلب العلم[4].

وكان سفيان يقول: لا يستقيم قول إلا بعمل، ولا يستقيم قول وعمل إلا بنيّة، ولا يستقيم قول وعمل ونيّة إلا بموافقة السنّة.

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٣.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٥.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٣.

أي شيء شر؟

عن سفيان الثوري: قيل له: أي شيء شر؟ قال: اللّهم غفراً، العلماء إذا فسدوا[١].

أقبح الرغبة:

يقول سفيان الثوري: إن أقبحَ الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة[٢].

إذا فسد العلماء:

وكان سفيان يقول: الأعمال السيئة داء، والعلماء دواء، فإذا فسد العلماء فمن يشفي الداء[٣] ؟!. وقال سفيان: كان يقال: يأتي على الناس زمان تموت فيه القلوب، وتحيا الأبدان[٤]. وقال سفيان: لولا أن للشيطان فيه نصيباً ما ازدحمتم عليه ـ يعني العلم ـ.

فساق القرّاء:

قال سفيان: أولئك فساق القرّاء ـ أي الفقهاء ـ دخلوا بين

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٥٤.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٦١.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٨٢.

الله وبين المريدين[1].

وقال قبيصة عن سفيان قال: كثرة الأخوان من سخافة الدين[2].

الفقيه الذي يلوذ بباب السلطان لص:

يقول سفيان الثوري: إذا رأيت القارىء ـ الفقيه ـ يلوذ بباب السلطان فاعلم أنه لص، فإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراءٍ[3]. وكان سفيان يقول: لو خُيرت بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم ـ أي السلاطين ـ لاخترت ذهاب بصري.

من يأمر السلطان وينهاه:

يقول سفيان: لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر، عالم بما ينهى، رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى، عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى[4].

أكرموا الناس على قدر تقواهم:

يقول سفيان: أكرموا الناس على قدر تقواهم، وتذللوا

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٥٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٦.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٩.

عند أهل الطاعة، وتعزَّزُوا عند أهل المعصية[1].

الدعاء للظالم:

قال سفيان: من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله[2].

وقال سفيان: النظر إلى وجه الظالم خطيئة[2].

وعن سفيان قال: من أخذ من ظالم كراعاً أو مالاً أو سلاحاً فغزا به في سبيل الله لعن بكل قدم يرفعها ويضعها حتى يرجع[3].

كانوا يكرهون فضول الكلام:

قال إبراهيم بن سليمان الزيات العبدي بمكة: كنت جالساً مع سفيان فجعل رجل ينظر إلى ثوب كان على سفيان، ثم قال: يا أبا عبد الله، أي شيء كان هذا الثوب؟ فقال سفيان: كانوا يكرهون فضول الكلام[4].

وجاء رجل إلى الثوري فقال: السلام عليك يا أبا عبد الله ورحمة الله وبركاته، كيف أنت؟ وكيف حالك؟ فقال: عافانا

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩٠.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٦.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٦٣.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٦٥.

الله وإياك. لسنا أصحاب تطويل[1].

الكسب الحلال، والقصد:

كان سفيان يقول: اجعل كسبك فيما يكون لك، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك[2].

وقال سفيان: عليك بالقصد في معيشتك، وإياك أن تتشبه بالجبابرة، وعليك بما لا يعرف من الطعام والشراب واللباس والمركب، وليكن أهل مشورتك أهلَ التقوى وأهل الأمانه ومن يخشى الله عزّ وجلّ[3].

وقال سفيان لشعيب بن حرب: احفظ عني ثلاثاً: إن احتجت إلى شسع فلا تسأل، وإن احتجت إلى ملح فلا تسأل، واعلم أن الخبز الذي تأكله بملح عجن، وإن احتجت إلى ماء فاستعمل كفيك فإنه يجري مجرى الإناء[4].

وقال سفيان: لأن أخلف عشرة آلاف درهم يحاسبني الله عليها أحبّ إليّ من أن أحتاج إلى الناس[5].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦٧.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٤.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ١٣.
(٤) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٢.
(٥) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.

وقال سفيان: كان المال فيما مضى يكره فأما اليوم فهو ترس المؤمن[1].

وقال سفيان: لأن تدخل يدك إلى فم التنين خيرٌ لك من أن ترفعها إلى ذي نعمة قد عالج الفقر[2].

ونظر رجل إلى سفيان وفي يده دينار، فقال: يا أبا عبد الله، أتمسك هذه الدنانير؟ قال: اسكت فلولاها لتمندل بنا الملوك[1].

وروى الخريبي عن سفيان: احذر سخط الله في ثلاث: احذر أن تقصر فيما أمرك، واحذر أن يراك وأنت لا ترضى بما قسم لك، وأن تطلب شيئاً من الدنيا فلا تجده أن تسخط على ربِّك[3].

وقال سفيان: اليقين ألّا تتهم مولاك في كل ما أصابك[4].

وقال سفيان: لا تجيبوا دعوة إلا دعوة من ترون أن قلوبكم تصلح على طعامه[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤١.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٩.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٠.

وقال سفيان لبكر العابد: يا بكر خذ من الدنيا لبدنك، ومن الآخرة لقلبك[1].

وقال سفيان الثوري: ما أحسن تذلل الأغنياء في مجالس الفقراء، وما أقبح تذلل الفقراء في مجالس الأغنياء[2].

الستر هو العافية:

يقول مؤمل بن إسماعيل: سمعت سفيان الثوري يقول: الستر هو العافية[3].

الحمد لله، لا إلّه إلا الله:

يقول الثوري: ليس شيء يضاعف من الكلام مثلَ قول الحمد لله، وقال سفيان: حمد الله ذكر وشكر، وليس شيء ذكراً وشكراً غيرُه، ولا شيء أقطع لظهر إبليس من لا إلّه إلا الله[4].

الصبر:

يقول سفيان الثوري: إنما الأجر على قدر الصبر[5].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٠.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٥٤.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٧.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٥٦ ـ ٥٧.
(٥) حلية الأولياء ٧/ ٥٤.

ويقول سفيان: ثلاثة من الصبر؛ لا تحدث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تزكِّ نفسك[1].

إياك والشهرة:

قال عبد الله بن المبارك: قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحداً إلا وقد نهى عن الشهرة[2].

وقال سفيان: السلامة في أن لا تحب أن تعرف[3]. وقال: أَقِلَّ من معرفة الناس تقل غيبتك[4].

ما كتبه من المواعِظِ والحكم والوصايا

اطلب العلم لتعمل به:

حدث مبارك أبو حمّاد قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على عليّ بن الحسن: يا أخي اطلب العلم لتعمل به، ولا تطلبه لتباهي به العلماء، وتماري به السفهاء، وتأكل به الأغنياء، وتستخدم به الفقراء، فإن لك من علمك ما عملت به، وعليك ما ضيعت منه، فقد بلغنا والله أعلم أنه من طلب

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٩.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨.
(٤) حلية الأولياء ٧/ ٨.

الخير صار غريباً في زماننا، ولا تستوحش، واستقم على سبيل ربك، فإنك إن فعلت ذلك كان مولاك الله تعالى، وجبريل، وصالح المؤمنين، واشتغل بذكر عيوب نفسك عن ذكر عيوب غيرك. واحزن على ما قد مضى من عمرك في غير طلب آخرتك، وأكثر من البكاء على ما قد أوقرت به ظهرك، لعلّك تتخلص منها، ولا تمل من الخير وأهله ولا تباعد عنهم، فإنهم خيرٌ لك ممن سواهم، ومل الجهال وباطلهم وتباعد عنهم، فإنه لن ينجو من جاورهم إلا من عصم الله، وإن أردت اللّحاق بالصالحين فاعمل بأعمال الصالحين، واكتف بما أصبت من الدنيا. ولا تنسى من لا ينساك، ولا تغفل عمن قد وُكل بك يحصي أثرك ويكتب عملك، راقب الله في سريرتك وعلانيتك، وهو رقيب عليك، واستح ممن هو معك، وهو أقرب إليك من حبل الوريد. اعرف فاقة نفسك وحقارة منزلتها، فإنك حقير فقير إلى ربك، وابك على نفسك وارحمها، فإنك إن لم ترحمها لم تُرْحم، ولا تغشها ولا توردها وخذ منها لك، فإنك بيومك ولست بغدك، وكأن الموت قد نزل بك، ولا تغفل غفلة الغافلين والجاهلين، وأكثر من البكاء على نفسك، فلست من الضحك بسبيل إن عقلت، فقد بلغنا ـ والله أعلم ـ أن الله عير أقواماً في كتابه بالضحك وترك البكاء، فقال:

﴿أفمِن هذا الحديثِ تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون﴾ ومدح أقواماً في كتابه فقال: ﴿يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً﴾ وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى، ومن سخط فله السخط» وقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كمْ من نعْمة للّهِ في عِرق ساكن»[1].

لا تغبط أهل الشهوات واجلس مع من كسبه حلال:

حدث مبارك أبو حمّاد مولى إبراهيم بن سام قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على علي بن الحسن السليمي: يا أخي لا تغبط أهل الشهوات بشهواتهم، ولا ما يتقلبون فيه من النعمة، فإن أمامَهم يوماً تزل فيه الأقدام، وترعد فيه الأجسام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب، وتتطاير فيه القلوب حتى تبلغ الحناجر، فيا لها من ندامة على ما أصابوا من هذه الشهوات، اجعل كسبك فيما يكون لك، ولا تجعل كسبك فيما يكون عليك، فإن الذي يقدم ماله ويعطي حق الله منه فمالُه له وأفضل منه، والذي يخلف ماله ويضيع حق الله فيه فماله وبال عليه يوم القيامة. اكسب حلالاً، واجلس مع مَن كسبه من حلال، وكل طعامَ من كسبُه من حلال، وليكن أهل مشورتك من

(١) حلية الأولياء ٧/ ١٠ ـ ١١.

كسبه من حلال. فإن الورع ملاك الدين واستكمال أمر الآخرة ـ واعلم أنه يا أخي لا يمتنع أحد عن الحرام إلا من هو مشفق على لحمه ودمه، فإنما دينك لحمك ودمك. فاجتنب الحرام، ولا تجلس مع من يكسب الحرام، ولا تأكل مع من كسبه من حرام، ولا تدل أحداً على الحرام، ولا تشيرن به على أحد فيأخذه، ولا تورثه إلى أحد، وانصح لكل بر وفاجر أن لا يأخذه، فإن فعلت من ذلك شيئاً فأنت عون له، والعون شريك، لا تخالفن أهل التقوى، ولا تخادن أهل الخطايا ولا تجالس أهل المعاصي، واجتنب المحارم كلها، واتق أهلها، وإياك والأهواء، فإن أولها وآخرها باطل، ولكل ذنب توبة، وترك الذنب أيسر من طلب التوبة، وإن الله غفورٌ رحيم لأهل المعاصي رحيم للتوابين، حليم ودود، وإياك أن تزداد بحلمه عنك جرأة على المعصية، فإن الله لم يرض لأنبيائه المعصية والحرام والظلم، فقال ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم﴾ ثم قال للمؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ ثم أجملها فقال: ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوٌّ مبين﴾، واعلم يا أخي أنه لم يرض لأنبيائه ولا للمؤمنين ولا للمشركين حراماً، ولا

تتهاون بالذنب الصغير ولكن انظر من عصيت؟ عصيت رباً عظيماً يعاقب على الصغير، ويتجاوز عن الكبير، وإن أكيس الكيس من يدخل الجنة بذنب عمله فنصبه بين عينيه، ثم لم يزل حذراً على نفسه من تلك الخطيئة حتى فارق الدنيا ودخل الجنّة. وإن أحمق الحمق من دخل النار بحسنة واحدة نصبها بين عينيه ولم يزل يذكرها ويرجو ثوابها ويتهاون بالذنوب حتى فارق الدنيا ودخل النار، فكن يا أخي كيساً حذراً على ما زلّ منك ومضى، لا تدري ماذا يفعل بك ربك فيه وما بقي من عمرك لا تدري ماذا يحدث لك فيها. فإن إبراهيم عليه السلام خليل الرحمٰن حذر على نفسه فسأل ربه فقال: ﴿واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام﴾ وقال يوسف عليه السلام ﴿توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ وقال موسى عليه السلام ﴿ربِّ بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ وقال شعيب عليه السلام ﴿ما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ فهؤلاء أنبياؤه خافوا على أنفسهم، وإنما المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده[1].

عليك بتقوى الله ولسان صادق ونية خالصة:

حدث مبارك أبو حماد قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على عليّ بن الحسن: واعلم أن السنّة سنتان: سنة أخذها

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٤ ـ ٢٥.

هدىً وتركها ضلالة، وسنة أخذها هدىً وتركها ليس بضلالة، وأن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وأن لله حقاً بالليل لا يقبله بالنهار، وحقاً بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه يحاسب العبد يوم القيامة بالفرائض، فإن جاء بها تامة قبلت فرائضه ونوافله، وإن لم يؤدها وأضاعها لحقت النوافل بالفرائض، فإن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وأولى الفرائض الانتهاء عن الحرام والمظالم، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ الآية. وقال: ﴿إن الله نعِمّا يعظكم به﴾ وقال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ وإنما عنى به التقوى عن المظالم أن تتناولوها فتنفقوها في أعمال البر. يا أخي عليك بتقوى الله ولسان صادق ونية خالصة، وأعمال شتى صالحة، ليس فيها غِش ولا خُدعة. فإن الله يراك وإن لم تكن تراه، وهو معك أينما كنت، لا يسقط عليه شيء من أمرك، لا تخدع الله فيخدعك، فإنه من يخادع الله يخدعه ويخلع منه الإيمان وهو لا يشعر، ولا تمكرن بأحد من المسلمين المكر السيىء، فإنه لا يحيق المكر السيىء إلا بأهله، ولا تبغين على أحد من المسلمين، فإن الله تعالى يقول: ﴿يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم﴾ ولا تغشَّ أحداً من المؤمنين، فقد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من غش مؤمناً فقد برىء

من المؤمنين». ولا تخدعنّ أحداً من المؤمنين فيكون نفاقاً في قلبك، ولا تحسدنّ ولا تغتابن فتذهب حسناتك، وقد كان بعض الفقهاء يتوضأ من الغيبة كما يتوضأ من الحدث، وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وأصلح فيما بينك وبين الله يصلح الله فيما بينك وبين الناس، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً[1].

إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك:

حدث مبارك أبو حمّاد قال: سمعت سفيان الثوري يقول لعلي بن الحسن السليمي: إياك وما يفسد عليك عملك وقلبك، فإنما يفسد عليك قلبك مجالسة أهل الدنيا، وأهل الحرص، وإخوان الشياطين الذين ينفقون أموالهم في غير طاعة الله، وإياك وما يفسد عليك دينك فإنما يفسد عليك دينك مجالسة ذوي الألسن المكثرين للكلام، وإياك وما يفسد عليك معيشتك فإنما يفسد عليك معيشتك أهل الحرص وأهل الشهوات. وإياك ومجالسة أهل الجفاء، ولا تصحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي، ولا تصحب الفاجر، ولا تجالسه ولا تجالس من يجالسه، ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله، ولا تحب من يحبه، ولا تفش إليه سرك،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٣٥.

ولا تبسم في وجهه ولا توسع له في مجلسك، فإن فعلت شيئاً من ذلك فقد قطعت عرى الإسلام، وإياك وأبواب السلطان، وأبواب من يأتي أبوابهم، وأبواب من يهوى هواهم، فإن فتنتهم مثل فتن الدَّجَّال، فإن جاءك منهم أحد فانظر إليه بوجه مكفهر، ولا تبال منهم شيئاً فيرون أنهم على الحق فتكون من أعوانهم، فإنهم لا يخالطون أحداً إلا دنسوه، وكن مثل الأترجه طيبة الريح طيبة الطعم لا تنازع أهل الدنيا في دنياهم تكن محبَّباً إلى الناس، وإياك والمعصية فتستحق سخط الله، واعلم أنه لم يكن أحد أكرم على الله من آدم عليه السلام، جبل الله تربته بيده، ونفخ فيه من روحه، وأكرمه بسجود ملائكته، وأسكنه جنته، فأخرجه منها بذنب واحد. واعلم يا أخي أن الله تعالى لا يدخل أحداً الجنة بالمعاصي، وأن داود عليه السلام خليفة الله في الأرض نزل ما نزل به بخطيئة واحدة، ولو أنا عملنا مثلها لقلنا ليست بخطيئة. فاتق الله يا أخي، واجتنب المعاصي وأهلها فإن أهل المعاصي استوجبوا من الله النقمة، وكن مبذولاً بمالك ونفسك لإخوانك، ولا تغشهم في السر والعلانية، وابغض الجهال ومجالستهم، والفجار وصحبتهم، فإنه لا ينجو من جاورهم إلا من عصم الله، وإذا كنت مع الناس فعليك بكثرة التبسم والبشاشة، وإذا خلوت

بنفسك فعليك بكثرة البكاء والهم والحزن. فقد بلغنا ـ والله أعلم ـ أن أكثر ما يجد المؤمن يوم القيامة في كتابه من الحسنات الهم والحزن، وإياك وخشوع النفاق، وأن تظهر على وجهك خشوعاً ليس في قلبك[1].

أَحبَّ في الله وأبغض في الله:

حدث مبارك أبو حماد قال: سمعت سفيان الثوري يقرأ على ابن الحسن: انظر يا أخي أن يكون أمرك ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس التفكر في يومك الذي مضى فما كان من طاعة الله فاستقم عليها وما كان من معصية الله فانزع عنها، ولا تعد فيها يديك، فإنك لا تدري أتستكمل يومك أم لا. وأن التوبة مبسوطة، وترك الذنب أيسر عليك من طلب التوبة، والتوبة النصوحة هي الندامة التي لا رجعة فيها. واتق الله حيثما كنت، إذا عملت ذنباً في السر فتب إلى الله في السر، وإذا عملت في العلانية فتب إلى الله في العلانية، ولا تدع ذنباً يركب ذنباً، وأكثر من البكاء ما استطعت، والضحك فلست منه بسبيل، فإنك لم تخلق عبثاً، وصل رحمك وقرابتك وجيرانك وإخوانك، ثم إذا رحمت رحمت مسكيناً أو يتيماً أو ضعيفاً، وإذا هممت بصدقة أو ببر أو بعمل صالح فعجل مضيه من ساعته من قبل أن يحول بينك

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٧ ـ ٤٨.

وبينه الشيطان واعمل بنية، وكل بنية، واشرب بنية ولا تأكل وحدك، ولا تنامنَّ وحدك، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا تأكل في ظلمة فإن الشيطان يأكل في الظلمة، وإياك والشح، فإن الشح يفسد عليك دينك، ولا تعدن أحداً شيئاً فتخلفه فتستبدل بالمودة بغضاً، وإياك والشحناء فإنه لا تقبل توبة عبد يكون بينه وبين أخيه شحناء، وإياك والبغضاء فإنما هي الحالقة، وعليك بالسلام لكل مسلم يخرجِ الغِل والغش من قلبك، وعليك بالمصافحة تكن محبوباً إلى الناس، ولا تزل على وضوء تحبك الحفظة وإن مت مت شهيداً، وأدن اليتيم منك وامسح برأسه يزد في عمرك وتكن رفيق نبيك. ارحم الصغير ووقر الكبير تلحق بالصالحين، وأطعم طعامك الأتقياء الصالحين، وإن كان غنياً يحبك الله، ويلقى محبتك الناس، وإذا لبست جديداً فألق خلقانك على عار يمح اسمك من البخلاء، ويزد في حسناتك وينقص من سيآتك، ولا تحب إلا في الله، ولا تبغض إلا في الله فإن لم تفعل كان سيماك سيما المنافقين[1].

عليك بالكسب الطيب وما تكسب بيدك:

حدث مبارك أبو حمّاد قال: سمعت سفيان يقول لعلي بن

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦١ ـ ٦٢.

الحسن فيما يوصيه:

يا أخي عليك بالكسب الطيب، وما تكسب بيدك، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه، فإن الذي يأكل أوساخ الناس مثله مثل علية لرجل، وسفله ليس له، فهو لا يزال على خوف أن يقع سفله وتنهدم عليه، فالذي يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه، ويا أخي إن تناولت من الناس شيئاً قطعت لسانك وأكرمت بعض الناس، وأهنت بعضهم مع ما ينزل بك يوم القيامة، فإن الذي يعطيك شيئاً من ماله، فإنما هو وسخه، وتفسير وسخه تطهير عمله من الذنوب، وإن أنت تناولت من الناس شيئاً إن دعوك إلى منكر أجبتهم، وإن الذي يأكل أوساخ الناس كالرجل له شركاء في شيء ينبغي له أن يقاسمهم، يا أخي جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثير من العبادة. وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «لو أن أحدكم أخذ حبلاً ثم احتطب حتى يدبر ظهره كان خيراً له من أن يقوم على رأس أخيه يسأله أو يرجوه» وبلغنا أن عمر بن الخطاب قال: «من عمل منكم حمدناه، ومن لم يعمل اتهمناه» وقال: «يا معشر القرّاء ارفعوا رؤوسكم، ولا تزيدوا الخشوع على ما في القلب، استبقوا في الخيرات ولا تكونوا عيالاً على الناس، فقد

وضح الطريق» وقال علي بن أبي طالب «إن الذي يعيش من أيدي الناس كالذي يغرس شجرة في أرض غيره» فاتق الله يا أخي فإنه ما نال أحد من الناس شيئاً إلا صار حقيراً ذليلاً عند الناس، والمؤمنون شهود الله في الأرض، وإياك أن تكسب خبيثاً فتنفقه في طاعة الله، فإن تركه فريضة من الله واجبة، وإنه طيب لا يقبل إلا طيباً. أرأيت رجلاً أصاب ثوبه بول ثم أراد أن يطهره فغسله ببول آخر؟ أترى كان ذلك يطهره؟ كلا! إن القذر لا يطهر إلا بطيب، فكذلك لا تمحى السيئة إلا بالحسنة، وإن الله طيب لا يقبل إلا الطيب وإن الحرام لا يقبل في شيء من الأعمال، أَوَهَلْ عمل أحد ذنباً فمحاه بذنب؟!(١).

اعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك:

حدث مبارك أبو حمّاد قال: سمعت سفيان الثوري يقول فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي:

(عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها، فإنها وزر كله، وإياك يا أخي والرياء في القول والعمل فإنه شرك بعينه، وإياك والعجب فإن العمل الصالح لا يرفع وفيه عجب، ولا تأخذن دينك إلا

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٧١ ـ ٧٢.

ممن هو مشفق على دينه، فإن مثل الذي هو غير مشفق على دينه كمثل طبيب به داء لا يستطيع أن يعالج داء نفسه، وينصح لنفسه، كيف يعالج داء الناس وينصح لهم؟ فهذا الذي لا يشفق على دينه كيف يشفق على دينك؟ ويا أخي إنما دينك لحمك ودمك. ابك على نفسك وارحمها، فإن أنت لم ترحمها لم ترحم، وليكن جليسَك من يزهدك في الدنيا، ويرغبك في الآخرة، وإياك ومجالسة أهل الدنيا الذين يخوضون في حديث الدنيا فإنهم يفسدون عليك دينك وقلبك. وأكثر ذكر الموت، وأكثر الاستغفار مما قد سلف من ذنوبك. وسل الله السلامة لما بقي من عمرك، ثم عليك يا أخي بأدب حسن، وخلق حسن، ولا تخالفن الجماعة فإن الخير فيها، إلا من هو مكب على الدنيا، كالذي يعمر بيتاً ويخرب آخر، وانصح لكل مؤمن إذا سألك في أمر دينه، ولا تكتمن أحداً من النصيحة شيئاً إذا شاورك فيما كان لله فيه رضىً، وإياك أن تخون مؤمناً، فمن خان مؤمناً فقد خان الله ورسوله، وإذا أحببت أخاك في الله فابذل له نفسك ومالك، وإياك والخصومات والجدال والمراء فإنك تصير ظلوماً خواناً أثيماً، وعليك بالصبر في المواطن كلها، فإن الصبر يجر إلى البر، والبر يجر إلى الجنة، وإياك والحدة والغضب فإنهما يجران إلى الفجور، والفجور يجر إلى النار ولا

تُمارينَّ عالماً فيمقتَك، وإن الاختلاف إلى العلماء رحمة، والانقطاع عنهم سخط الرحمن، وأن العلماء خزان الأنبياء وأصحاب مواريثهم، وعليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع كثيراً مما يريبك إلى ما لا يريبك تكن سليماً، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك، وأمر بالمعروف وإنه عن المنكر تكن حبيب الله، وأبغض الفاسقين تطرد به الشياطين. وأقل الفرح والضحك بما تصيب من الدنيا تزدد قوة عند الله واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وأحسن سريرتك يحسن الله علانيتك، وابك على خطيئتك تكن من أهل الرفيق الأعلى، ولا تكن غافلاً فإنه ليس يغفل عنك، فإن لله عليك حقوقاً وشروطاً كثيرة وينبغي لك أن تؤديها، ولا تكونن غافلاً عنها، فإنه ليس يغفل عنك، وأنت محاسب بها يوم القيامة، وإذا أردت أمراً من أمور الدنيا فعليك بالتؤدة، فإن رأيته موافقاً لأمر آخرتك فخذه، وإلا فقف عنه حتى تنظر من أخذه كيف عمله فيها، وكيف نجا منها؟ واسأل الله العافية وإذا هممت بأمر من أمور الآخرة فشمر إليها وأسرع من قبل أن يحول بينها وبينك الشيطان، ولا تكونن أكولاً لا تعمل بقدر ما تأكل فإنه يكره ذلك، ولا تأكل بغير نيّة، ولا بغير شهوة، ولا تحشوَنَّ بطنك فتقع جيفة لا تذكر الله، وأكثر من

الهم والحزن، فإن أكثر ما يجد المؤمن في كتابه من الحسنات الهم والحزن، وإياك والطمع فيما في أيدي الناس، فإن الطمع هلاك الدين، وإياك والرغبة فإن الرغبة تقسي القلب، وإياك والحرص على الدنيا فإن الحرص مما يفضح الناس يوم القيامة، وكن طاهر القلب نقي الجسد من الذنوب والخطايا، نقي اليدين من المظالم، سليم القلب من الغش والمكر والخيانة، خالي البطن من الحرام، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت. كف بصرك عن الناس، ولا تمشين بغير حاجة ولا تكلمن بغير حكم، ولا تبطش بيدك إلى ما ليس لك. وكن خائفاً حزيناً لما بقي من عمرك، لا تدري ما يحدث فيه من أمر دينك، وإياك أن تلي نفسك من الأمانة شيئاً، وكيف تليها وقد سماك الله ظلوماً جهولاً؛ أبوك آدم لم يبق فيها، ولم يستكمل يوم حملها حتى وقع في الخطيئة. أقِل العثرة، واقبل المعذرة، واغفر الذنب، كن ممن يرجى خيره ويؤمن شره، لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، كن رحيماً للعامة والخاصة ولا تقطع رحمك، وصل من قطعك، وصل رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء. وأقل دخول السوق فإنهم ذئاب عليهم ثياب، وفيها مردة الشياطين من الجن والإنس، وإذا دخلتها فقد لزمك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

وإنك لا ترى فيها إلا منكراً، فقم على طرفها فقل: «لا إلّه إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم» فقد بلغنا أنه يكتب لقائلها بكل من في السوق عجمي أو فصيح عشر حسنات، ولا تجلس فيها، واقض حاجتك وأنت قائم يسلم لك دينك، وإياك أن يفارقك الدرهم فإنه أتم لعقلك، ولا تمنعن نفسك من الحلاوة فإنه يزيد في الحلم وعليك باللحم ولا تدم عليه، ولا تدعه أربعين يوماً فإنه يسيء خلقك، ولا تردَّ الطيب فإنه يزيد في الدماغ، وعليك بالعدس فإنه يفرز الدموع ويرق القلب. وعليك باللباس الخشن تجد حلاوة الإيمان، وعليك بقلة الأكل تملك سهر الليل، وعليك بالصوم فإنه يسد عنك باب الفجور، ويفتح عليك باب العبادة، وعليك بقلة الكلام يَلِـنْ قلبك، وعليك بطول الصمت تملك الورع، ولا تكونن حريصاً على الدنيا، ولا تكن حاسداً تكن سريع الفهم، ولا تكن طعّاناً تنج من ألْسُن الناس، وكن رحيماً تكن محبباً إلى الناس، وارض بما قسم الله لك من الرزق تكن غنياً، وتوكل على الله تكن قوياً، ولا تنازع أهل الدنيا في دنياهم يحبك الله ويحبك أهل الأرض، وكن متواضعاً تستكمل أعمال البر، اعمل بالعافية تأتك العافية من فوقك،

كن عفواً تظفر بحاجتك، كن رحيماً يترحم عليك كل شيء. يا أخي لا تدع أيامك ولياليك وساعاتك تمر عليك باطلاً، وقدم من نفسك لنفسك ليوم العطش، يا أخي فإنك لا تُروَى يوم القيامة إلا بالرضى من الرحمٰن، ولا تدرك رضوانه إلا بطاعتك، وأكثر من النوافل تقربك إلى الله، وعليك بالسخاء تستر العورات ويخفف الله عليك الحساب والأهوال، وعليك بكثرة المعروف يؤنسك الله في قبرك، واجتنب المحارم كلها تجد حلاوة الإيمان. جالس أهل الورع وأهل التقى يصلح الله أمر دينك، وشاور في أمر دينك الذين يخشون الله، وسارع في الخيرات يحول الله بينك وبين معصيتك، وعليك بكثرة ذكر الله يزهدك الله في الدنيا، وعليك بذكر الموت يهون الله عليك أمر الدنيا، واشتق إلى الجنة يوفق الله لك الطاعة، وأشفق من النار يهون الله عليك المصائب، أحب أهل الجنة تكن معهم يوم القيامة، وأبغض أهل المعاصي يحبك الله، والمؤمنون شهود الله في الأرض، ولا تسبن أحداً من المؤمنين، ولا تحقرن شيئاً من المعروف، ولا تنازع أهل الدنيا بدنياهم، وانظر يا أخي أن يكون أول أمرك تقوى الله في السر والعلانية، وَاخْشَ الله خشية من علم أنه ميت ومبعوث، ثم الحشر ثم الوقوف بين يدي الجبار عزّ وجلّ وتحاسب بعملك، ثم المصير إلى

إحدى الدارين إما جنّة ناعمة خالدة، وإما نار فيها ألوان العذاب مع خلود لا موت فيه، وارج رجاء من علم أنه يعفو أو يعاقب وبالله التوفيق لا ربّ غيره)[1].

مراسلة بين هارون الرشيد وسفيان

كتب هارون الرشيد إلى سفيان الثوري ما نصّه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثوري. أما بعد يا أخي فقد علمتُ أن الله آخى بين المؤمنين وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلَك ولم أقطع فيها وُدَّك، وإني منطوٍ لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة، ولولا هذه القِلادة التي قَلَّدَنيها الله تعالى لأتيتك ولو حَبْواً، لِما أجدُ لك في قلبي من المحبة، وإنه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك إلا زارني، وهنّأني بما صرتُ إليه، وقد فتحتُ بيوت الأموال وأعطيتهم المواهبَ السَّنية ما فرحتْ به نفسي وقرَّت به عيْني، وقد استبطأتك، وقد كتبت كتاباً مني إليك أُعلمك بالشوق الشديد إليك، وقد علمتَ يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومُواصَلته، فإذا ورد عليك كتابي هذا

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٨٢ ـ ٨٥.

فالعَجلَ العجلَ. ثم أعطى الكتابَ لعبَّاد الطالقاني، وأمره بإيصاله إليه، وأن يحصي عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليلَه ليخبره.

قال عباد: فانطلقت إلى الكوفة فوجدت سفيان في مسجده، فلما رآني على بُعد قام، وقال: أعوذُ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وأعوذُ بك اللّهم إلا من طارق يطرُق إلاَّ بخير، قال: فنزلتُ عن فرسي بباب المسجد فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فدخلت وسلّمتُ فما رفع أحدٌ من جلسائه رأسَه إليّ، قال: فبقيت واقفاً، وما منهم أحد يعرِض عليَّ الجلوس، وقد عَلَتْني من هيبتهم الرّعدة، فرميتُ بالكتاب إليه، فلما رأىٰ الكتاب ارتَعدَ وتباعد منه كأنه حية عَرضت له في مِحرابه، فركَع وسجَد وسلَّم، وأدخَل يده في كُمِّه وأخذه وقلَّبه بيده، ورماه إلى من كان خلفه، وقال: ليقرأه بعضكم، قال: أستغفر الله أنْ أمسَّ شيئاً مسَّه ظالم بيده.

قال عباد: فمدَّ بعضُهم يده، وهو يرتعد كأنه حيَّة تنهشه، ثم قرأه، فجعل سفيان يتبسم تبسُّم المتعجِّب، فلما فرغ من قراءته قال: اقلبوه، واكتبوا للظالم على ظهره، فقيل له: يا أبا عبده إنه خليفة، فلو كتبتَ إليه في بياض نقيّ لكان أحسن، فقال: اكتبوا للظالم في ظهر كتابه، فإن اكتسبه من

حلال فسوف يُجزَى به، وإن كان اكتسبها من حَرام فسوف تصلى به ولا يبقَى شيء مسَّه ظالم بيده عندنا فيُفسد علينا ديننا.

الدنيا غمها لا يفنى:

كتب بعض إخوان سفيان أن عِظني وأوجز، فكتب إليه:

(بسم الله الرحمٰن الرحيم. عافانا الله وإياك من السوء، اعلم يا أخي أن الدنيا غمها لا يفنى، وفكرها لا ينقضي، وفرحها لا يدوم، فلا توان فتعطب. والسلام عليك)[1].

اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر:

عن حفص بن عمرو بن أخي سفيان الثوري قال: كتب سفيان إلى عباد بن عباد. أما بعد فإنك في زمان كان أصحاب رسول الله ﷺ يتعوذون أن يدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلة علم وقلة صبر، وقلة أعوان على الخير وفساد من الناس، وكدر من الدنيا، فعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمن خمول، وعليك بالعزلة وقلة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى، وإياك والأمراء أن تدنو منهم

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ١٠٤.

وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإياك أن تخدع فيقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو ترد مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فجار القرّاء سُلَّماً، وكان يقال: اتقوا فتنة العابد الجاهل والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك، ولا تنافسهم فيه، وإياك أن تكون كمن يحب أن يعمل بقوله، أو ينشر قوله، أو يسمع من قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه.

وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحبَّ إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك. واعمل بنية، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت. والسلام[1].

طريقته في كتابة رسائله:

قال يوسف بن أسباط: كان سفيان الثوري إذا كتب إلى رجل. كتب:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. من سفيان بن سعيد إلى فلان بن فلان. سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إلٓه إلا هو، وهو للحمد أهل تبارك وتعالى له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. أما بعد فإني أوصيك

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧.

ونفسي بتقوى الله العظيم، فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، جعلنا الله وإياك من المتقين، وإن دعاك هؤلاء الملوك لتقرأ عليهم: ﴿قُل هو الله أحد﴾ فلا تجبهم، فإن قربهم مفسدة للقلب[١].

تمثله بالشعر

حدث خلف بن تميم قال: كان سفيان الثوري يتمثل بهذه الأبيات:

أظريف إن العيش كدرَ صفوَه
ذكرُ المنية والقبورِ الهولِ
دنيا تداولها العباد ذميمةً
شيبت بأكره من نقيع الحنظل
وبنات دهر لا تزال ملمة
ولها فجائع مثل وقع الجندلِ[٢]

وحدث محمد بن بشر قال: سمعت سفيان يقول متمثلاً:

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى
ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

(١) الجرح والتعديل ١/ ٨١.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٢.

نــدمــت علــى أن لا تكــون كمثلــه
وأنك لم ترصد كما كان أرصدا[1]

وحدث عبد الرحمٰن بن هاني عن سفيان الثوري أنه كان يتمثل:

سيكفيــك عمــا أغلــق البــاب دونــه
وضــن بــه الأقــوام ملــح وجــردقُ
وتشــرب مــن مــاء فــرات وتفتــدي
تعــارض أصحــاب الثــريــد الملبــقِ
تجشَّــى إذا مــا هــم تجشَّــوْا كــأنمــا
ظلِلــت بــأنــواع الخبيــص تفتــق[2]

حدث محمد بن صدقة بن أبي الزيداء التيمي قال: كان سفيان الثوري يقول:

إذا كنــت تــرجــو الله فــاقنــع بــه
فعنــــده الفضــــل الكثيــــر البشِيــــرْ
مــــن ذا الــــذي تلــــزمــــه فــــاقــــة
وذخــــره الله العلــــي الكبيــــر[3]

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٢.
(٢) حلية الأولييباء ٦/ ٣٧٣.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٣.

وحدث مزاحم بن زفر قال: سمعت سفيان الثوري ينشد هذه الأبيات من قول ابن حطان:

أرى أشقيـاء النـاس لا يسـأمـونهـا
علـى أنهـم فيهـا عُـراةٌ وجـوّعُ
أراهـا وإن كـانـت قليـلاً كـأنهـا
سحـابـة صيـف عـن قليـل تقشـع[1]

عن عبد الله بن مسعود قال: اقتحم على أهل الجنّة نور في قيامهم كاد يخطف نوره أبصار القوم، فإذا نور من حوراء ضحكت في وجه وليها، فما كنت أدع هذا الخير أبداً لقولك، ثم أنشأ سفيان يقول:

ما ضر من كانت الفردوسُ مسكنَه
مـاذا تجـرع مـن بـؤس وإقتـارِ
تـراه يمشـي كئيبـاً خـائفـاً وَجِـلا
إلـى المسـاجـد يمشـي بيـن أطمـارِ

ثم أقبل على نفسه فقال:

يا نفسُ مالك من صبر على النار
قد حان أن تُقبِلي من بعد إدبار[1]

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٤.

قال زكريا بن عدي: كان الثوري يتمثل:

أرى رجالاً بدون الدين قد قنعوا
وليس في عيشهم يرضون بالدون
فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما
استغنى الملوك بدنياهم عن الدِّين(١)

وعن محمد بن إسحاق الباهلي عن أبيه قال سمعت سفيان يتمثل:

إنـي وجـدت فـلا تظنـي غيـره
أن التنسُّـك عنـد هـذا الـدرهـم(١)

وحدث أبو بحر قال: كان سفيان يتمثل:

إن الـرجـال إذا أردت إخـاءهـم
وتـوسَّمـنَّ أمـورهـم وتفقـد
فـإذا وجـدت أخـا الأمـانـة والتقـى
فبـهِ اليـديـن قـريـر عيـن فـاشـددِ
ودع التخشـع والتـذلـل تبتغـي
قـرب امـرىء إن تـدنُ منـه يبعـد(١)

عن يحيى بن يمان قال: كان سفيان الثوري يتمثل بهذا البيت:

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧٦.

باعوا جديداً جميلاً باقياً أبداً
بدارِسٍ خَلَقٍ يا بئس ما اتَّجروا[1]

حدث محمد بن بشر العبدي قال: سمعت سفيان الثوري يتمثل بأبيات الأسود بن يعفور النهشلي:

ماذا تؤمل بعد آل محرِّقٍ
تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الخورنق والسدير وبارِقٍ
والقصر ذي الشرفات من سنداد
كانوا بأنقرة يفيض عليهم
ماء الفرات يخر من أطواد
جرت الرياح على رسوم ديارهم
فكأنما كانوا على مِيعاد
فإذا النعيم وكل ما يُلهى به
يوماً يصير إلى بِلىً ونَفاد[1]

وعن وكيع قال سمعت الثوري يقول:

غلب الفيء على الفيِّ
فما للخلق من شيٍّ

(١) حلية الأولياء ٧/ ٥.

فـــأصبـــح الميـــتُ فـــي قبـــره
أحســـنَ حـــالاً مـــن الحـــيِّ[1]

نقدُه بعضَ فُقهاء الكوفة

نحن أهل الذنوب:

يقول سفيان الثوري: الناس عندنا مؤمنون في النكاح والطلاق والأحكام فأما عند الله فلا ندري نحن أهل الذنوب[2].

فقهاء زماننا ليس لهم تقىً:

يقول سفيان الثوري: قرّاء زماننا ـ أي الفقهاء ـ لهم شِرَّة، وليس لهم تقى[3].

بعد الإسلام والتفقه تلي القضاء؟!:

لقي سفيان الثوري شريكاً بعد ما ولي القضاء بالكوفة فقال: يا أبا عبد الله، بعد الإسلام والتفقه والخير تلي القضاء؟! أَوَصِرْتَ قاضياً؟ قال له شريك: يا أبا عبد الله لا بدّ للناس من قاض، فقال سفيان: يا أبا عبد الله لا بدّ للناس من شرطي[4].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٧٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٢٦.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢١.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٣٨٧.

نقده أبا حنيفة رحمه الله:

نقد سفيان الثوري أبا حنيفة النعمان رحمه الله بلديَّه ومعاصره نقداً شديداً ولاذعاً.

أقول: قالوا: المعاصرة حرمان. كما قالوا: لا يعتد بنقد معاصر لمعاصره إلا بدليل واضح جلي قاطع وإلا فلا يعتد به[1].

خُروجُه من الكُوفة

ما خلفت خلف ظهري من أثق به:

قال معدان: زاملت سفيان الثوري من الكوفة بلده إلى مكة، فلما جعل الكوفة بظهره قال: ما خلفت خلف ظهري من أثق به، ولا أقدم على من أثق به في الدين[2].

وقال أبو نعيم: خرج سفيان من الكوفة سنة خمسين ومئة، ولم يرجع إليها[3].

وفي تاريخ أبي زرعة: خرج سفيان من الكوفة سنة خمس وخمسين ومئة[4].

---

(١) انظر تاريخ أبي زرعة ١/ ٥٠٧. وحلية الأولياء ٧/ ١٦.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٧٥.
(٣) تهذيب التهذيب ٤/ ١١٤.
(٤) تاريخ أبي زرعة ١/ ٢٩٨.

طَلبُه للقَضَاء

طُلب للقضاء فتحامَق:

قال عبد الرحمٰن بن مهدي: جر أمير المؤمنين سفيان إلى القضاء فتحامق عليه ليخلص نفسه. فلما علم أنه يتحامق عليه أرسله، وهرب من السلطان، وجعل كينونته في بيت عبد الرحمٰن ويحيى بن سعد بضعة عشر سنة[1].

وحدث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول: دخل سفيان الثوري على أمير المؤمنين فجعل يتجانّ عليهم - أي يتكلف الجنون - ويمسح البساط. ويقول: ما أحسنه ما أحسنه. بكم أخذتم هذا؟ ثم قال: حتى أُخرِج[2].

دفنـــه كتبـــه

ندم على أشياء كتبها عن قوم:

أوصى سفيان الثوري أن تدفن كتبه - وكان ندم على أشياء كتبها عن قوم[3].

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٥٢ - ٥٣.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١٠٦ - ١٠٧.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦١.

وفي الركاز الخمس:

قال أبو عبد الرحمٰن الحارثي: خاف سفيان شيئاً فطرح كتبه، فلما أمن أرسل إليّ وإلى يزيد بن نوير المرهبي فقال: أخرجوا الكتب. فدخلنا البئر فجعلنا نخرجها، فأقول: يا أبا عبد الله وفي الركاز الخمس وهو يضحك، فأخرجنا تسع قمطرات، كل واحد إلى هنا وأشار إلى أسفل ثندوته، قال فقلت: اعزل كتاباً تحدثني به، قال: فعزل لي كتاباً فحدّثني به. قال أبو محمد: كذا حدّثنا أبو سعيد الأشج[1].

حَبْسُه

أوثر الله وأطلق القوم:

كتب المنصور إلى محمد بن إبراهيم ـ وهو أمير على مكة ـ يأمره بحبس رجل من آل علي بن أبي طالب كان بمكة، وبحبس ابن جريج، وعبّاد بن كثير، والثوري، قال: فحبسهم، فكانوا له سمار يسامرونه بالليل، فلما كان وقت سمره جلس وأكب على الأرض ينظر إليها، ولم ينطق بحرف حتى تفرقوا، قال: فدنوت منه فقلت: قد رأيت ما بك، فمالك؟ قال: عمدت إلى ذي رحم فحبسته، وإلى

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ١١٥.

عيون من عيون الناس فحبستهم فيقدم أمير المؤمنين، ولا أدري ما يكون، فلعلّه أن يأمر بهم فيقتلوا فيشتد سلطانه وأهلك ديني، قال: فقلت له: تَصنع ماذا؟ قال: أوثر الله وأُطلق القوم، اذهب إلى إبلي فخذ راحلة منها، وخذ خمسين ديناراً فأت بها الطالبي وأَقرئه السلام وقل له إن ابن عمك يسألك أن تحلله من ترويعه إياك، وتركب هذه الراحلة وتأخذ هذه النفقة. قال: فلما أحسّ بي جعل يتعوذ بالله من شري، فلما أبلغته قال: هو في حل، ولا حاجة لي إلى الراحلة ولا إلى النفقة. قال: قلت: إن أطيب لنفسه أن تأخذ ففعل. قال: ثم جئت إلى ابن جريج وإلى سفيان بن سعيد وعبّاد بن كثير فأبلغتهم ما قال، قالوا: هو في حل، قال: فقلت لهم: يقول لكم: لا يظهرن أحد منكم ما دام المنصور مقيماً[1] . . . إلخ.

عدم قبوله المال من الأمراء:

عن سفيان بن عيينة أن محمد بن إبراهيم الهاشمي، وكان والياً على مكة، بعث إلى سفيان الثوري بمئتي دينار فأبى أن يقبلها، قلت: يا أبا عبد الله كأنك لا تراها حلالاً؟ قال: بلى، ولكن أكره أن أذل[2]، ذلك لأن المال ساحر عظيم

---

(١) تاريخ الطبري ٨/ ٥٨.

(٢) الجرح والتعديل ١/ ١٤٤.

التأثير، فإذا أخذ المال صار في قبضة الأمير، ورضي عنه مهما يفعل، وأبو عبد الله يعرف هذه الأبواب، فهو يسدها على نفسه. وكفى الله المؤمنين القتال.

مرابطة سفيان:

المرابطة: الجلوس في الثغور مع كامل العدة والعتاد والاستعداد، والغالب أن تكون المرابطة على السواحل. وما من عالم جليل إلا ومارس المرابطة، لأن في المرابطة جهاداً وطاعة، فمن لم يمارس هذه المرابطة فقد فاته ثواب الجهاد وقد رابط كثير من الأئمة: منهم عبد الله بن المبارك، والإمام الشافعي في مئذنة الإسكندرية والإمام أحمد في ثغر طَرَسُوس. وغيرهم كثير.

وقال الفريابي: أتى سفيان الثوري بيت المقدس فأقام ثلاثة أيام، ورابط بعسقلان أربعين يوماً. وصحبته إلى مكة[1].

الرواة عن سفيان الثوري

روى عنه خلق، وذكر ابنُ الجوزي أنَّهم أكثر من عشرين ألْفاً، وهذا ـ كما قال الذهبي ـ : مدفوعٌ ممنوع، فإنْ بَلغوا ألْفاً فبِالجَهد وما علمتُ أحداً من الحفَّاظ روى عنه عددٌ أكثرُ

(١) سير أعلام النبلاء.

من مالك، وبلَغوا بالمجاهيلِ والكذَابين ألفاً وأربعَ مئة.

حدّث عنه من مشيخته وغيرهم خلق:

منهم: الأعمش، وأبان بن تغلب، وابنُ عجلان، وخصيف، وابنُ جريح، وجعفرُ الصادق، وجعفرُ بن يُرقان، وأبو حنيفة، والأَوْزاعي، ومعاويةُ بن صالح، وابنُ أبي ذئب، ومِسعر، وشعبة، ومَعمر، وكلّ هؤلاء ماتوا قبلَه وأكثرهم من شيوخه. وإبراهيم بن سعد، وأبو إسحاق الفزاري، وأحمد بن يونس اليربوعي، وأحوص بن جواب، وأسباط بن محمد، وإسحاق الأزرق، وابن عُلَيّة، وأُمية بن خالد، وبشر بن السري، وبشر بن منصور، وبكر بن الشَّرود، وبكير بن شهاب، وثابت بن محمد العابد، وثعلبة بن سُهيل، وجرير بن عبد الحميد، وجعفر بن عَوْن، والحارثُ بن منصور الواسطي، والحسن بن محمد بن عثمان، والحسين بن حفص، وحصين بن نُمير، وحفص بن غياث، وأبو أُسامة، وحمّاد بن دُليل، وحمّاد بن عيسى الجهني، وحُميد بن حَماد، وخالد بن الحارث، وخالد بن عمرو القُرشي، وخلف بن تميم، وخلَّاد بن يحيى، ودُبيس المُلائي، ورُوح بن عبادة، وزهير بن معاوية، وزيد بن أبي الزرقاء، وزيد بن الخباب، وسفيان بن عقبة، وسفيان بن عُيينة، وأبو داود الطيالسي، وسهل بن هاشم البيروتي،

وأبو الأحوص سلّام، وشعيب بن إسحاق، وشعيب بن حرب، وأبو عاصم، وضمرة، وعباد بن السماك، وعبثر بن القاسم، وعبد الله الخُريبي، وعبد الله بن رجاء المكي لا الفُداني، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وعبدالله بن نمير، وعبدالله بن الوليد العدني، وعبد الرحمٰن بن مهدي، وعبد الرحيم بن سليمان، وعبد الرزاق، وعبد الملك بن الذماري، وعبده بن سليمان، وعبيد الله الأشجعي، وأمم سواهم[1].

أحسن من روى عنه:

عن ابن معين ـ شيخ الجرح والتعديل ـ قال: (ليس أحد في حديث الثوري يشبه هؤلاء ـ أي في التوثيق والفَهم والفِقه ـ: عبدُ الله بن المبارك[2] ويحيى بن سعيد[3]، ووكيع[4]، وعبد الرحمٰن ـ أي ابن مهدي[5] ـ ثم قال:

---

(١) من أرادهم فليرجع إلى كتاب سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦، وتهذيب التهذيب ٤/ ١١٢ ـ ١١٣.

(٢) عبد الله بن المبارك المروزي ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد توفي سنة إحدى وثمانين ومئة. وله ثلاث وستون سنة.

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ إمام قدوة، مات سنة ثمان وتسعين ومئة، وله ثمان وسبعون سنة.

(٤) وكيع بن الجراح أبو سفيان الكوفي ثقة حافظ عابد، مات سنة سبع وتسعين ومئة، وله سبعون سنة.

(٥) عبد الرحمٰن بن مهدي بن حسّان العنبري، ثقة ثبت حافظ عارف =

والأشجعي ثقة مأمون، واسمه عبد الله بن عبد الرحمٰن.

وبعد هؤلاء في سفيان، يحيى بن آدم[1]، وعبيد الله بن موسى[2]، وأبو جعفر الزبيري[3]، وأبو حذيفة[4]، وقبيصة[5]، ومعاوية بن هشام[6]، والفرياب[7])[8].

= بالرجال والحديث، مات سنة ثمان وتسعين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة.

(١) يحيى بن آدم بن سليمان الكوفي، ثقة حافظ فاضل، مات سنة ثلاث ومئتين.

(٢) عبيد الله بن موسى بن أبي المختار العبسي الكوفي، ثقة، كان يتشيع، ـ أي يفضل علياً على عثمان ـ مات سنة ثلاث عشرة ومئتين، واستُصغر في سفيان الثوري.

(٣) أبو جعفر الزبيري، هو مصعب بن ثابت الزبيري المدني، صدوق، عالم بالنسب، مات سنة ست وثلاثين ومئة.

(٤) أبو حذيفة واسمه موسى بن مسعود، صدوق سيِّء الحفظ مات سنة عشرين ومئة وقد جاوز التسعين، وحديثه عند البخاري في المتابعات.

(٥) قبيصة بن عقبة السوائي الكوفي، صدوق، مات سنة خمس عشرة ومئة.

(٦) معاوية بن هشام القصار أبو الحسن الكوفي، صدوق، له أوهام، مات سنة أربع ومئتين.

(٧) وهو محمد بن يوسف الفريابي، ثقة فاضل، يقال: أخطأ في شيء من حديث سفيان، مات سنة اثنتا عشرة ومئتين.

(٨) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٩.

كان سفيان يحدث بعُشر ما يَحفظ أو أقل:

مرّ سفيان بجابر الجُعفي فقال: هذا سمع مني عشرة آلاف حديث.

يقول يحيى بن يمان: «سمعت سفيان الثوري يقول: (ما أحدِّث من كل عشرةٍ بواحد) وقد كتبنا عنه عشرين ألْفاً، وأخبرني الأشجعي أنه كتب عنه ثلاثين ألفاً»[1].

أقول: إن كان الأمر كذلك فإنه يحفظ أكثر من ثلاث مئة ألف حديث، والمحفوظ عنه لا يجاوز ثلاثين ألفاً، منها الصحيح، ومنها الحسن، ومنها الضعيف، وهذا الرقم بالنسبة لزمنه كثيرٌ جداً، ولعلّه ما حدّث إلا بهذا المقدار، والذي يحفظه أكثر من ذلك بكثير[2].

التسوية بين الراوين عنه:

قال مت البلخي: أهديت لسفيان الثوري ثوباً فردَّه عليّ، قلت له: يا أبا عبد الله، لستُ ممن يسمع الحديث حتى تردَّه عليّ، قال: علمتُ أنك ليس ممن يسمع الحديث، لكنْ أخوك يسمع مني الحديث فأخاف أن يَلينَ قلبي لأخيك بأكثر مما يلينُ لغيره[3].

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٣.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٥.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٣.

وهذه غاية في رَهافَة الحس، وغاية في العدل وحسن التسوية ممن يسمع منه الحديث، وما سمِعنا مثل هذه الدقّة في معاملة الناس إلا من القلة النادرة التي تخشى الله في تمييز أحدٍ على أحد حتى في لين القلب.

مصنفات سفيان

كانت المصنفات في زمن سفيان قليلة، وكان من كبار المصنفين أو كان أولَ المصنفين للحديث على أبواب الفقه في ترتيب جيد الإمامُ مالك.

وصنف سفيان الثوري في الحديث وغيره، وإليك بعضَ هذه المصنفات.

١ ـ كتاب الجامع الكبير في الحديث.
٢ ـ كتاب الجامع الصغير.
٣ ـ كتاب الفرائض.
٤ ـ كتاب رسالة إلى عباد بن عباد الأرسوقي[١].
٥ ـ وزاد في طبقات المفسرين[٢] من كتبه: كتاب التفسير المشهور الذي رواه عنه أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي.

---

(١) الفهرست لابن النديم.
(٢) طبقات المفسرين ١/١٨٦.

غسْلُه كتبه:

قال نوفل بن مُطهر: أوصى سفيانُ إلى عمّار بن سيف في كتبه فقال: ما كان بحبر فاغسلْه، وزاد فيه: وما كان بأنقاس فامحُه، قال: فسَخّنا الماء واستعان بنا، قال: فأخرج كتباً كثيرة، قال: فجعلنا نمحوها ونغسلها[1].

(١) الجرح والتعديل ١/ ١١٦.

عَلَاقَتُهُ مَعَ الخُلَفَاءِ وَالوُلَاةِ

كان الخلفاء والأمراء يودّون لو أن كبار العلماء يجالسونهم ليتزيّنوا بهم، وليقنعوا الناس أنهم أهل عَدْل ولا يظلمون الناس، ولا يأخذون أموالهم بغير حق، وأنهم قائمون بما يُرضي الله في كل أمورهم، وإلا لم يجالِسْهم هؤلاء العلماء.

فمن العلماء من يغُرّهم ذلك، وخصوصاً الخُلفاء يُغدِقُون عليهم من الأموال والكُسوة ويأكلون عندهم من أطيب الطعام. وهذا عند بعضهم يكفي حجّةً على صلاحهم وعدلهم.

أما سفيان الثوري وأمثالُه ـ وهم الأقل ـ لا يسكتون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يفرِّقُون بين سلطانٍ وسوقةٍ، وغَنِيّ وفقير، وأميرٍ وحَقير، ولو كلّفهم ذلك حياتهم، وكانت صراحتهم، وقوّتهم في الأمر والنهي مع الخلفاء والأمراء سبباً لجفوة شديدة بينهم، وكم كان بعض

الخلفاء والأمراء يحاولون أن يُزيلوا هذه الجفوة فما يزيدهم ذلك إلا غلواً في الوحشة والجفوة.

يقول يحيى بن عبد الملك: ما رأيتُ أحداً أَصْفَقَ وجهاً في ذات الله من سفيان الثوري، ويقول سفيان: إني أرى المنكر فلا أتكلم فأبول دماً[1].

حكايته مع أبي جعفر المنصور

لقي أبو جعفر سفيانَ الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟ قال: لا، ولكنك قبضت عليَّ قبضةَ جبَّار، قال: عظني أبا عبد الله، قال: وما عملت فيما علمت فأعظَك فيما جهلت؟ قال: فما يمنعك أن تأتينا؟ قال: إن الله نهى عنكم قال تعالى: ﴿ولا تَركَنوا إلى الذين ظلموا فتمسَّكم النار﴾ ثم التفت إلى أصحابه فقال: (أَلْقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فِراراً)[2].

وقال سفيان الثوري: أُدخلتُ يوماً على أبي جعفر المنصور بمِنى، فقلت: اتق الله، فإنما أُنزلتَ هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار،

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ١٠٦.

(٢) العقد الفريد ٣/ ١٦٥.

وأبناؤهم يموتون جوعاً، وحجَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما أنفق إلا خمسةَ عشر ديناراً، وكان ينزل تحت الشجرة، فقال ـ أي أبو جعفر ـ : فإنما تريد أن أكون مثلك؟ قال: قلت: لا تكن مثلي، ولكن كن دونَ ما أنت فيه وفوق ما أنا فيه، فقال لي: اخرج[1].

وكان أبو جعفر مَهيباً جبّاراً، لا يبالي أن يبطش بأقل من لمح البصر. ولم يستطع أبو جعفر بعد هاتين الحادثتين أن يكظم غيظه من سفيان، وكلما امتد الزمن ازداد غيظاً وحِقداً.

وكان الخلفاء يشعرون أن هؤلاء يشاركونه في الحكم، فالناس لا يحبون إلا أمثال هؤلاء من العلماء الصلحاء، ولو استفتى الخلفاء الناس لما أرادوا إلا ما يريد هؤلاء وأمثالهم، فيحاول الخليفة المتسلِّط حبسهم والتنكيل بهم وقتلهم حتى لا يظهر من يقول له: اتق الله يا منصور، ورُدَّ الأموال المغتصبة إلى أصحابها. والعالم العامل الصالح لا تفتنه دنيا لا مالها ولا جاهها عن قول الحق مهما ينله من ذلك ما دام يعمل في رضا الله تعالى.

قال عبد الرحمٰن بن مهدي: سمعت سفيان يقول: إني

(١) الجرح والتعديل ٣/ ١٦٥.

لأدعو للسلطان بالصلاح ولكن لا أستطيع إلا أن أذكر ما فيهم[1].

سؤال الخليفة المنصور سفيان عن نفسه:

قال عبد الرزاق: أخذ أبو جعفر بتلباب الثوري، وحول وجهه إلى الكعبة فقال: برب هذه البنية أي رجل رأيتني؟ قال: برب هذه البنية، بئس الرجل رأيتك وأطلق يده[2].

ما يريد مني أبو جعفر؟

قال يحيى بن يمان: سمعت سفيان الثوري يقول: ما يريد مني أبو جعفر؟! فوالله لئن قمت بين يديه لأقولن له: قم من مقامك فغيرك أولى به منك[2]. وكان سفيان كثير الحط على المنصور لظلمه، فهم به المنصور وأراد قتله، فما أمهله الله[3].

محاولة صلب سفيان:

قال عبد الرزاق: بعث أبو جعفر الخشابين حين خرج إلى مكة، وقال: إن رأيتم سفيان الثوري فاصلبوه، فجاء النجارون ونصبوا الخشب، ونودي عليه، فإذا رأسه في

(١) الجرح والتعديل ١/ ٩٧.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٢.
(٣) العبر ١/ ٢٣٩.

حجر الفضيل بن عياض، ورجلاه في حجر ابن عيينة، فقيل له: يا أبا عبد الله اتق الله، لا تشمت بنا الأعداء فتقدم إلى الأستار، ثم أخذه، وقال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر، قال: فمات أبو جعفر قبل أن يدخل مكة، فأخبر بذلك سفيان فلم يقل شيئاً[1]. هذه كرامة ثابتة.

محمد المهدي بن المنصور مع سفيان

حدث عطاء بن مسلم قال: (لما استُخلف المهدي بعث إلى سفيان فلما دخل عليه خلع خاتمَه فرمَى به إليه وقال: يا أبا عبد الله، هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنّة، فأخذَ الخاتم بيده وقال: تأذن لي في الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: أتكلم وأنا آمن؟ قال: نعم. قال: لا تبعَثْ إليَّ حتى آتيَك، ولا تعطِني حتى أسألَك، قال: فغضب وهمَّ به، فقال له كاتبُه: أليس قد أمنته؟ قال: بلى، فلما خرج حفَّ به أصحابُه فقالوا: ما مَنعك وقد أمرك أنْ تعملِ في الأمة بالكتاب والسنّة، فاستصغَر عقولهم. وخرج هارباً إلى البصرة)[2].

وإنما استصغر عقولهم لأنهم ظنوا أنّ هذا الذي قاله لا

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥١.

(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٢.

يعني غيره، بل ربما رأوا فيه غاية الإِخلاص. أما الحقيقة التي فهمها سفيان أنه إنما يريد أن يشتريه بالثمن الذي لا يحب غيْرَه ليكون جليسه ويغدق عليه المال لئلا يقف في طريق ظلمه عَثْرةً، بل مُبرراً لأعماله وأمواله وكلِّ شأنه، وإذا استطاع أن يخدع سفيان فيُميلَه إليه فقد تمّ له ملكه لا منازِعَ له فيه غيرُه، وليست منازعته أخذَ الحكم منه ولكن هو نقدُه في كل صغيرةٍ أو كبيرة مما يخالف الشرع. والعجيب أن أباه المنصور من قبله استماله فما استطاع لذلك سبيلاً.

أدخل سفيان على المهدي:

حدث محمد بن مسعود عن سفيان قال: أُدخلتُ على المهدي بمنى فسلمتُ عليه بالإمرة، فقال: أيُّها الرجل، طلبناكَ فأَعجزتنا، فالحمدُ لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك فقلت: قد ملأتَ الأرضَ ظُلماً وجَوْراً فاتق الله، وليكُن منك في ذلك غيرُه، فطأطأ رأسه ثم قال: أرأيت إن لم أستطع دفعه؟ قال: تخلِّيه وغيرك، فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا حاجتك.

قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب فاتق الله وأوصِل إليهم حقوقهم، فطأطأ رأسه فقال: ارفع إلينا حاجتك، قلت: وما أرفع؟ إلى أن قال له سفيان:

وإني أرى هٰهنا أموراً لا تطيقها الجبال[1].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: قال سفيان: لما أخذت بمكة وأُدخلتُ على المهدي، قلت في نفسي: قد وقعتِ يا نفسُ فاستَمْسِكي، قال: وإلى جنبه أبو عبيد الله ـ وزير المهدي ـ فقال لي أبو عبيد الله: ألستَ سفيان؟ قلت: بلى، قال: إن كتبكَ لتأتينا أحياناً، قال: قلت: ما كتبت إليك كتاباً قطّ، قال: فأيّ شيء دخَلَه؟[2].

طلب المهدي سفيان:

قال محمد بن سعد: طُلب سفيان فخرج إلى مكة فنفَّذ المهدي إلى محمد بن إبراهيم ـ أمير مكة ـ في طلبه، فأُعلم سفيان بذلك، فقال له محمد: إن كنت تريد إتيان القوم فاظهرْ حتى أبعث بك إليهم، وإلاَّ فتوارَ، قال: فتوارَى سفيان وطلبَه محمد المهدي، وأمرَ منادياً فنادَى بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، ولم يزل مُتوارِياً بمكة، لا يظهر إلا لأهل العلم ومن لا يخافه[3].

وقال أبو أحمد الزبيري:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٢) الجرح والتعديل ١/ ١٠٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٤.

كنتُ في مسجد الخَيْف مع سفيان والمنادي ينادي: من جاء بسفيان فلَه عشرة آلاف، وقيل: إنه لأجل الطلب هرَب إلى اليمن، فسُرق شيءٌ فاتَّهموا سفيان، قال: فأتَوْا بي معنَ بنَ زائدة، وكان قد كتب إليه في طلبي، فقيل: هذا قد سرق متاعنا فقال: لِمَ سرقت مَتاعَهم؟ قلت: ما سرقت شيئاً، فقال: تنحوا أسَائله، ثم أقبل عليّ فقال: ما اسمك؟ قلت: عبد الله بن عبد الرحمٰن، فقال: نشدتُك اللهَ لما انتسبت. قلت: أنا سفيان بن سعيد بن مَسروق، قال: الثوري؟ قلت: الثوري، قال: أنت بُغيَةُ أمير المؤمنين؟ قلت: أجل، فأطرق ساعة ثم قال: ما شئتَ فأقم، ومتى شئت فارْحَلْ، والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتها[1].

وهكذا نرى أنّ البلاء يجر البلاء، لم يكفه فراره خوفاً من المهدي حتى اتُّهم بالسرقة، ومثل سفيان يُتهم بالسرقة؟! ولو أراد لكان أغنى الناس ولأعطاه المهدي ما يريد، ولكن هكذا يمتحن سفيان وأمثاله بالصبر على البلاء.

وعن عبد الرحمٰن بن المهدي قال: قدم سفيان البصرة والسلطان يطلبه فصار إلى بستان، فأجَّر نفسه لحفظ ثماره فمرّ به بعضُ العشّارين، فقال: من أنت يا شيخ؟ قال: من أهل الكوفة، فقال: أرُطبُ البصرة أحلى أم رُطب الكوفة؟

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨.

قال: لم أذُقْ رُطب البصرة، قال: ما أكذبك، البَرُّ والفاجر والكلاب يأكلون الرُّطب الساعة، ورجع إلى العامل فأخبره ليُعجِّبه، فقال: ثكلتك أمك، أدركه، فإن كنت صادقاً فإنه سفيان الثوري لتتقرب به إلى أمير المؤمنين، فرجع فطلبه فما قدر عليه[1].

وقال عصام بن يزيد: لما أراد سفيان أن يوجّهني إلى المهدي، قلت له: إني غلام جبلي لعلّي أسقط بشيء فأفضحَك، قال: يا ناعِس! ترى هؤلاء الذين يجيؤنني؟ لو قلت لأحدهم، لظنّ أنيِ قد أَسديتُ إليه معروفاً، ولكن قد رضيت بك، قل ما تعلَم، ولا تقل ما لا تعلَم، قال: فلما رجعت قلت: لأي شيء تهرب منه؟ وهو يقول: لو جاء لخرجتُ معه إلى السوق فأَمَرْنا ونَهيْنا؟ فقال: يا ناعس، حتى يعمل بما يعلم، فإذا فعل لم يَسعنا إلا أن نذهب فنعلمَه ما لا يعلم. قال عصام: فكتب معي سفيان إلى المهدي وإلى وزيره أبي عبد الله، قال: وأُدخلت عليه فجرى كلامي فقال: لو جاءنا أبو عبد الله لوضعنا أيدينا في يده، وارتَدَيْنا بُرداً واتَّزْرنا بآخَر وخرجنا إلى السوق وأَمَرنا بالمعروف، ونَهَيْنا عن المنكر، فإذا توارى عنا مثل أبي عبد الله، لقد جاءني قُراؤكم ـ فقهاؤكم من أهل الكوفة ـ فأمروني ونهوني

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

ووعظوني، وبكوا ـ والله ـ لي، وتباكيت لهم، ثم لم يُفاجئني من أحدهم إلا أنْ أخرج من كُمّه رُقعة أن افعلْ بي كذا، وافعلْ بي كذا ففعلت ومقتُّهم.

قال: وإنما كتَب إليه لأنه طال مهرَبه أن يعطيَه الأمان، فقدمت عليه البصرة بالأمان[1].

وهنا يظهر الفرق بين سفيان الذي يهربُ من السلطانِ وعطائه الكثير، وغيره ممن يتخذُ الدين والموعظةَ وسيلةً إلى الدنيا كما اعتَرف المهدي بذلك.

وكتب سفيان إلى المهدي مع عصام، يقول فيها: (طرَدتَني، وشَرَّدتني، وخَوَّفتني، واللَّهُ بيني وبينك، وأرجو أن يخَيرَ اللَّهُ لي قبل مرجوع الكتاب)[2]، فرجَع الكتاب وقد مات.

قال ابن المديني: أقام سفيان في اختفائه في البصرة نحو سنة[3]. وكان سفيان رحمه الله لا يحب لعالم ولا صالح أن يتزلّف للملوك ويسعى إليهم ويتملَّقهم، ويبالغَ في مَدحِهِ ولو كان ظالماً.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٤.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٩.

وكان يقول: (ليس للسلطان خيرٌ من أن لا يراك ولا تراه)[1].

ويقول: (إن هؤلاء الملوكَ قد تركوا لكم الآخرة فاتركوا لهم الدنيا)[2] واستوصى رجل سفيان فقال: (إياك والأهواء، إياك والخصومة، إياك والسلطان)[3].

ويقول: (إني لألقى الرجلَ أبغضه فيقول: كيف أصبحت؟ فيلين له قلبي، فكيف بمن أكَلَ طعامهم)[4] ـ أي السلاطين والأمراء ـ فإنه يسكُن إليهم ثم يحبّهم، ثم يرى خطأَهم صَواباً حتى ينتهي إلى أن يرى أنّ ظلمهم عدل، وهذا غاية الخِذلان.

وكان رحمه الله يقول: (إذا دعَوْك ـ أي الملوك ـ لتقرأ عليهم: ﴿قُل هو الله أحد﴾ فلا تأتِهم) قلت لأبي شهاب: يعني السلطان؟ قال: نعم[5].

ويقول سفيان عن السلاطين أيضاً: (ليس أخاف ضربهم،

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٤.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٨.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٢٨.
(٤) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٦٠.
(٥) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٧.

ولكن أخاف أن يميلوا عليَّ بدُنياهم، ثم لا أرى سيئتهم سيئة)[1].

ما كان رحمه الله يبالي بفساد الدنيا أن تضرَّ به، ولكنه يخشى أن يفسد آخرته، وأيّ فسادٍ أعظمُ من أن لا ترى فسادهم فساداً ولا سيئتَهم سيئة، وهذا خطر عظيم وخصوصاً على العلماء، فهم قدوةٌ فما يرونه حسناً يراه الناسُ من بعدهم حسناً.

وقال سفيان: (النظرُ إلى وجه الظالم خطيئة، ولا تنظروا إلى الأئمة ـ أي الأمراء ـ المُصلِّين إلا بإنكار في قلوبكم عليهم، لئلا تحبطَ أعمالكم)[2]. ذلك لأن النظر إلى الأئمة الظالمين مع ما لهم من فخامةٍ ومظهرٍ وجُنود نظرٌ مُعْجب، وإذا أعجبَ تمنّى أن يكون معهم فيكون شريكاً لهم في الظلم.

ويقول الثوري: (والله ما يمنعني من إتيانهم إلا أني لا أرى لهم طاعة ولكني رجل أحبُّ الطعام الطيِّب، فأخاف أن يفسدوني)[3] أي عن طريق مَعدتي، ومنهم من يَفسُد ببسمة صغيرة في وجهه من السلطان، ومنهم من يفسد بأقلَّ من هذا

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٤٢.
(٢) حلية الأولياء ٧/ ٤٠.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٤٥.

أو أكثر، فليُحرز المرءُ دينَه قبل أن يهلك بصحبة ظلمة الظالمين طمعاً برضاهم وأملاً في دنياهم.

حدث وكيع قال: دخلَ عمرو بن حَوْشب الوالي على سفيان فسلَّم عليه فأعرضَ عنه، فقال: يا سفيان نحن ـ والله ـ أنفعُ للناس منك، نحن أصحاب الدِّيات، وأصحاب الحِمالات، وأصحاب حوائج الناس والإصلاح بينهم، وأنت رجلُ نفسِك. فأقبل عليه سفيان فجعل يحادثه، ثم قام، قال: لقد ثقل عليَّ حين دخل، ولقد غمَّني قيامُه حين قام[1]، خشي سفيان بقيامه أن يؤذيه.

وقال محمد بن عبد الوهاب: ما رأيتُ الأمير والغَنِيّ أذلَّ منه في مجلس سفيان[2] ليس المعنى الذلَّ الحقيقي، ولكن معناه أنه لا يعطيهم من وجهه واهتمامِه إلا مثلَ ما يعطي الناس الفقراء، بل هم سَواسية مع السُّوقة والفُقراء.

وكان سفيان كثيراً ما يقول: (اللّهم أبْرِم لهذه الأمة أمراً رشيداً يُعَزّ فيه وليُّك، ويَذلُّ فيه عدوُّك، ويُعمل فيه بطاعتك ورِضاك، ثم يتنفس ويقول: كم من مؤمن مات بغيظه)[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٥.
(٣) حلية الأولياء ٧/ ٨١.

عدم قبوله برّ الأمراء:

عن يحيى بن سليم الطائفي عن سفيان بن عيينة أن محمد بن إبراهيم - يعني الهاشمي - وكان والياً على مكة - بعث إلى سفيان الثوري بمئتي دينار، فأبى أن يقبلها، قلت: يا أبا عبد الله كأنّك لا تراها حلالاً؟ قال: بلى، ولكن أكْرَه أن أذل[1].

وذلك لأنّ المال ساحِرٌ عظيمُ التأثير فإذا أخذ المال صار في قبضة الأمير، ورضي عنه مهما يفعل، وأبو عبد الله يعرف هذه الأبواب وهذه الأساليب، فهو يسدها على نفسه، وكفى الله المؤمنين القتال.

---

(١) الجرح والتعديل ١/ ١٤٤.

مَرَضُهُ وَوَفَاتُهُ وَرِثَاؤُهُ

فراره خوفاً من السلطان:

قال ابن سعد: فلما خاف من الطلب بمكة خرج إلى البصرة، ونزل قرب منزل يحيـى بن سعيد، ثم حوَّله إلى جواره، وفتحَ بينه وبينه باباً فكان يأتيه بمحدِّثي أهلِ البصرة يسلمُون عليه ويسمعون منه، أتاه جرير بنُ حازم، ومباركُ بن فُضالة، وحمّادُ بن سَلَمة، ومَرحُوم العطار، وحمّادُ بن زيد، وأتاه عبدُ الرحمٰن بن مهدي فلزمه، وكان أبو عوانة يُسلم على سفيان بمكة فلم يردَّ عليه، فكُلِّم في ذلك فقال: لا أعرفه.

ولما عرف سفيانُ أنه اشتهر مكانُه ومقامُه قال ليحيـى: حوِّلني، فحوَّلَه إلى منزل الهيثم بن منصور فلم يزل فيه، فكلَّمه حمّاد في تنحِّيه عن السلطان، وقال: هذا فعل أهل البدع وما يخاف منهم، فأجمع سفيان وحمّاد على أن يقدَما بغداد، وكتب سفيان إلى المهدي، وإلى يعقوب بن داود الوزير فبدأ بنفسه ـ أي من سفيان بن سعيد ـ وعلى قول

حمّاد ينبغي أن يقول: إلى أمير المؤمنين المهدي من سفيان ـ فقيل إنهم يغضبون من هذا فبدأ بهم، وأتاه جوابُ كتابه بما يحب من التقريب والكرامة بالسمع منه والطاعة، فكان على الخروج إليه ـ فحُمّ ومَرِض، وحضَر الموت فجزِع، فقال له مرحومُ بن عبد العزيز: ما هذا الجزع؟ إنك تقدَم على الرب الذي كنت تعبُده، فسكَن، وقال: انظروا من هنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عَبَّادان، فقدم عليه جماعة وأوصى، ثم مات.

وأُخرجت جِنازتُه على أهل البصرة فجأة فشهده الخلق، وصلّى عليه عبد الرحمٰن بن عبد الملك بن أبجر، وكان رجلاً صالحاً، ونزل في حفرته هو وخالد بن الحارث[1].

قال علي بن المديني: أقام سفيان في اختفائه نحو سنة[2].

وقيل ـ كما في تاريخ بغداد[3] ـ: فلم يزل بها حتى مات، فلما احْتُضر قال: ما أشَدَّ الغربة، انظر هٰهنا أحَداً من أهل بلادي.

وقال: وأوصى إلى الحسن بن عباس في تركته، وأوصى إلى عبد الرحمٰن بن عبد الملك بالصلاةِ عليه، فلما حضرت

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٩.
(٣) تاريخ بغداد ٩/ ١٦٠.

الصلاة قالت بنو تميم: يماني يصلي على حضري؟!

وقال عبد الرحمٰن بن مَهدي: لما غسلت سفيان الثوري وجدتُ في جسده مكتوباً ﴿فسَيكفِيكهم الله﴾[1].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: لما أن مات سفيان أخرجناه بالليل فما أنكرنا الليل من النهار - أي من شدّة نوره[1] -.

قال أبو أُسامة: مَرِض سفيان فذهبت بمائه - ببوله - إلى الطبيب فقال: هذا بول راهب، هذا قد فتَّت الحزنُ كَبِدَه[2].

وقال عبد الرحمٰن بن مهدي: كان سفيان يتمنى المَوتَ ليسلم من هؤلاء، فلما مَرض كَرِهه وقال: اقْرأ عليَّ يَس، فإنه يُقال: تخفّف عن المريض، فقرأت فما فرغت حتى طُفِيء[3] - أي مات - رحمه الله.

وعن ابن مهدي[3]: مرض سفيان بالبطن فتوضأ تلك الليلة ستين مرة حتى إذا عاين الأمر نزل عن فراشه، فوضع خدّه بالأرض، وقال: يا عبد الرحمٰن ما أشد الموت، ولما مات غمضتُه، وجاء الناس في جوف الليل وعلموا. وكانت

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٧١.
(٢) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٠.
(٣) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٨.

وفاته رحمه الله في أول سنة إحدى وستين ومائة، وله ثلاث وستون سنة[1]، وفي تاريخ بغداد[2]: مات وهو ابن ست وستين فيما أظنّ، وقبره في مقبرة بني كليب قد زرته مراراً[3].

وعن خليفة بن خياط توفي سنة اثنتين وستين. والأصح أنه توفي سنة إحدى وستين.

قال أبو داود: ماتَ سفيان بالبصرة، ودُفِن ليلاً، ولم نشهد الصلاة عليه، وغدونا على قبره ومعنا جرير بن حازم، وسلَّام بن مسكين، فتقدم جرير فصلّى بنا على قبره، ثم بكى فقال:

إذا بكيــت علــى قبــر لتكــرمــه
فابْكِ الغَداةَ على الثوري سفيانا[4]

وأتى عبد الله بن الصباح ببيت آخر فقال:

أبكــي عليــه وقــد وَلّــى وســؤدده
وفضلــه نــاضِــرٌ كــالغصــنِ رَيَّــانَــا

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٩.
(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٧١.
(٣) مشاهير علماء الأمصار ١٧٠.
(٤) تاريخ بغداد ٩/ ١٧١.

قال إسماعيل الزاهد ـ وذكر الثوري ـ (رحم الله أبا عبد الله، يا زين الفقهاء يا سيِّد العلماء، يا قريرَ العيون، تبكي العُيون لفقدك على واصل الأرحام في زمانِهم، ثم قال: أصيب المسلمون بعمر بن الخطاب، وأُصبنا بأبي عبد الله في زماننا)[1].

رثــاؤه شعــراً

قال أبو زياد الفقيمي يرثي سفيان:

لقــد مــات سفيــانٌ حميــداً مُبــرِّزاً
على كـل قـارٍ[2] هجَّنتْه المطـامـع

يلـــوذ بـــأبـــواب الملـــوك بنيــةٍ
مُبَهــرجــة، والــزي فيــه تَــواضــعُ

يشمِّــر عــن ســاقيــه والـرأسُ فـوقَـه
قَلَنْسُــوةٌ فيهــا اللُّصَيْــصُ المخــادع

جُعلتــم فــداءً للــذي صــان دينــه
وفــرَّ بــه حتــى حــوتـه المضــاجـع

علــى غيــر ذنــبٍ كــان إلا تنــزُّهــاً
عــن النــاس حتــى أدركتـه المصــارعُ

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٠.

(٢) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٣. قارِ: القارىء، وهو الفقيه أو العالم.

بعيــدِ مــن أبـواب الملـوك مجـانــبِ
وإنْ طلبــوه لــم تنلــه الأصـــابــعُ
فعينــي علــى سفيـان تبكــي حــزينــة
شَجـاهـا طَـرِيـدٌ نـازِحُ الـدار شـاسـعُ
يقلــب طــرفــاً لا يَــرى عنــد رأســه
قــريبــاً حميمــاً، أوجعتــه الفــواجــع
فجعنـــا بـــه حَبـــراً فقيهـــاً مـــؤدبـــاً
بفقـه جميـع النـاس قصـد الشـرائـع
علـــى مِثلـــه تبكـــي العيـــونُ لفقـــده
على واصلِ الأرحام والخلْقُ واسع[1]

المَــــرائـــــي

ليس للمَرَائي دلائل تفيد العلم، أو ينبني عليها حُكم ولو كان الحكم للترجيح بين قولين، أو يدعو إلى مندوب أو الأَوْلى أو خلاف الأولى، ولكن قد يتفاءل به أو يتشاءم منه.

ونذكر هنا بعض المرائي في حقه بعد موته، وهذه المرائي أكثرها تمثل حياته وزهده، وتمثل ما ينتظره عند ربه من النجاة من العذاب والمقام الكريم في الجنة.

---

(١) تاريخ بغداد ٩/ ١٧٣.

حدث مؤمل قال: رأيت سفيان في النوم فقلت: يا أبا عبد الله ما وجدت أنفع؟ قال: الحديث.

وقال سعيد بن الخِمس: رأيت سفيان في المنام يطير من نخلة إلى نخلة، وهو يقرأ: ﴿الحمد لله الذي صَدَقنا وعده﴾[1] [الزمر: ٧٤].

وقال علي بن بشر: أتاني إبراهيم بن عيسى الزاهد الأصبهاني فقال: (رأيت النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم فقال: عليكم بجامع سفيان)[2] والجامع كتاب كبير في الحديث يقال له الجامع الكبير.

عن عبد الله بن المبارك قال: رأيت سفيان الثوري في المنام، فقلت: ما فعل بك ربك؟ قال: لقيتُ محمداً ﷺ وحزَبه ورضي عنهم[3].

وقال صخر بن راشد: رأيت عبد الله بن المبارك في منامِي بعد موته، فقلت: أليس قَدْ مِتَّ قال: بلى، قلت: فما صنع بك ربُّك؟ قال: غفر لي مغفرة أحاطت بكل ذنب، قال قلت: فسفيان الثوري؟ قال: بخٍ بخٍ ﴿مع الذين أنعم الله

---

(١) سير أعلام النبلاء ٧/ ٢٧٩.
(٢) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٣.
(٣) حلية الأولياء ٦/ ٣٨٤.

عليهم من النبيّين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[1] [النساء: ٦٩].

ونكتفي من الرؤى بما ذكرنا[2].

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٥.

(٢) من ابتغى الزيادة فليرجع إلى حلية الأولياء ٦/ ٣٨٣ ـ ٣٨٦، والجرح والتعديل ١/ ١١٩ ـ ١٢٢.



الفهـرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

أعـــلام المسلمين

سلسلة تراجم إسـلامية تجمـع بين العلم والفكـر والتوجيـه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

١ ــ عبد الله بن المبارك
تأليف: محمد عثمان جمال
٢ ــ الإمام الشافعي
تأليف: عبد الغني الدقر
٣ ــ مصعب بن عمير
تأليف: محمد حسن بريغش
٤ ــ عبد الله بن رواحة
تأليف: د. جميل سلطان
٥ ــ أبو حنيفة النعمان
تأليف: وهبي غاوجي الألباني
٦ ــ عبد الله بن عمر
تأليف: محيي الدين مستو
٧ ــ أنس بن مالك
تأليف: عبد الحميد طهماز
٨ ــ سعيد بن المسيّب
تأليف: د. وهبة الزحيلي
٩ ــ السلطان محمد الفاتح
تأليف: د. عبد السلام فهمي
١٠ــ الإمام النووي
تأليف: عبد الغني الدقر
١١ــ الشيخ محمد الحامد
تأليف: عبد الحميد طهماز
١٢ــ السيدة عائشة
تأليف: عبد الحميد طهماز
١٣ــ الإمام البخاري
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري
١٤ــ عبادة بن الصامت
تأليف: د. وهبة الزحيلي
١٥ــ عبد الله بن عباس
تأليف: د. مصطفى الخن
١٦ــ جابر بن عبد الله
تأليف: وهبي غاوجي الألباني
١٧ــ أحمد بن حنبل
تأليف: عبد الغني الدقر
١٨ــ كعب بن مالك
تأليف: د. سامي مكي العاني
١٩ــ أبو داود
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري
٢٠ــ أسامة بن زيد
تأليف: د. وهبة الزحيلي
٢١ــ معاوية بن أبي سفيان
تأليف: منير الغضبان
٢٢ــ عدي بن حاتم الطائي
تأليف: محيي الدين مستو

٢٣ــ مالك بن أنس
تأليف: عبد الغني الدقر
٢٤ــ عبد الله بن مسعود
تأليف: عبد الستار الشيخ
٢٥ــ معاذ بن جبل
تأليف: عبد الحميد طهماز
٢٦ــ الإمام الجويني
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٧ــ القاضي البيضاوي
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٨ــ عبد الحميد بن باديس
تأليف: مازن مطبقاني
٢٩ــ تميم بن أوس الداري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٣٠ــ السلطان عبد الحميد الثاني
تأليف: د. محمد حرب
٣١ــ السيدة خديجة
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٢ــ زيد بن ثابت
تأليف: صفوان داوودي
٣٣ــ الإمام أبو جعفر الطبري
تأليف: د. محمد الزحيلي
٣٤ــ أبو موسى الأشعري
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٥ــ أبو عبيد قاسم بن سلام
تأليف: سائد بكداش
٣٦ــ أبو جعفر الطحاوي
تأليف: عبد الله نذير أحمد
٣٧ــ سفيان بن عيينة
تأليف: عبد الغني الدقر
٣٨ــ الحافظ ابن حجرِ العسقلاني
تأليف: عبد الستّار الشيخ
٣٩ــ العز بن عبد السلام
تأليف: د. محمد الزحيلي
٤٠ــ عمر بن عبد العزيز
تأليف: عبد الستّار الشيخ
٤١ــ الإمام القرطبي
تأليف: مشهور حسن سلمان
٤٢ــ سعد بن الربيع
تأليف: محمد علي كاتبي
٤٣ــ الإمام الغزالي
تأليف: صالح أحمد الشامي
٤٤ــ الإمام الزهري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٤٥ــ عبد القادر الجيلاني
تأليف: د. عبد الرزاق الكيلاني
٤٦ــ الإمام البيهقي
تأليف: د. نجم عبد الرحمن خلف
٤٧ــ محمد بن الحسن الشيباني
تأليف: د. علي أحمد الندوي
٤٨ــ أبي بن كعب
تأليف: صفوان داوودي
٤٩ــ الإمام مسلم بن الحجاج
تأليف: مشهور حسن سلمان
٥٠ــ الإمام الذهبي
تأليف: عبد الستار الشيخ